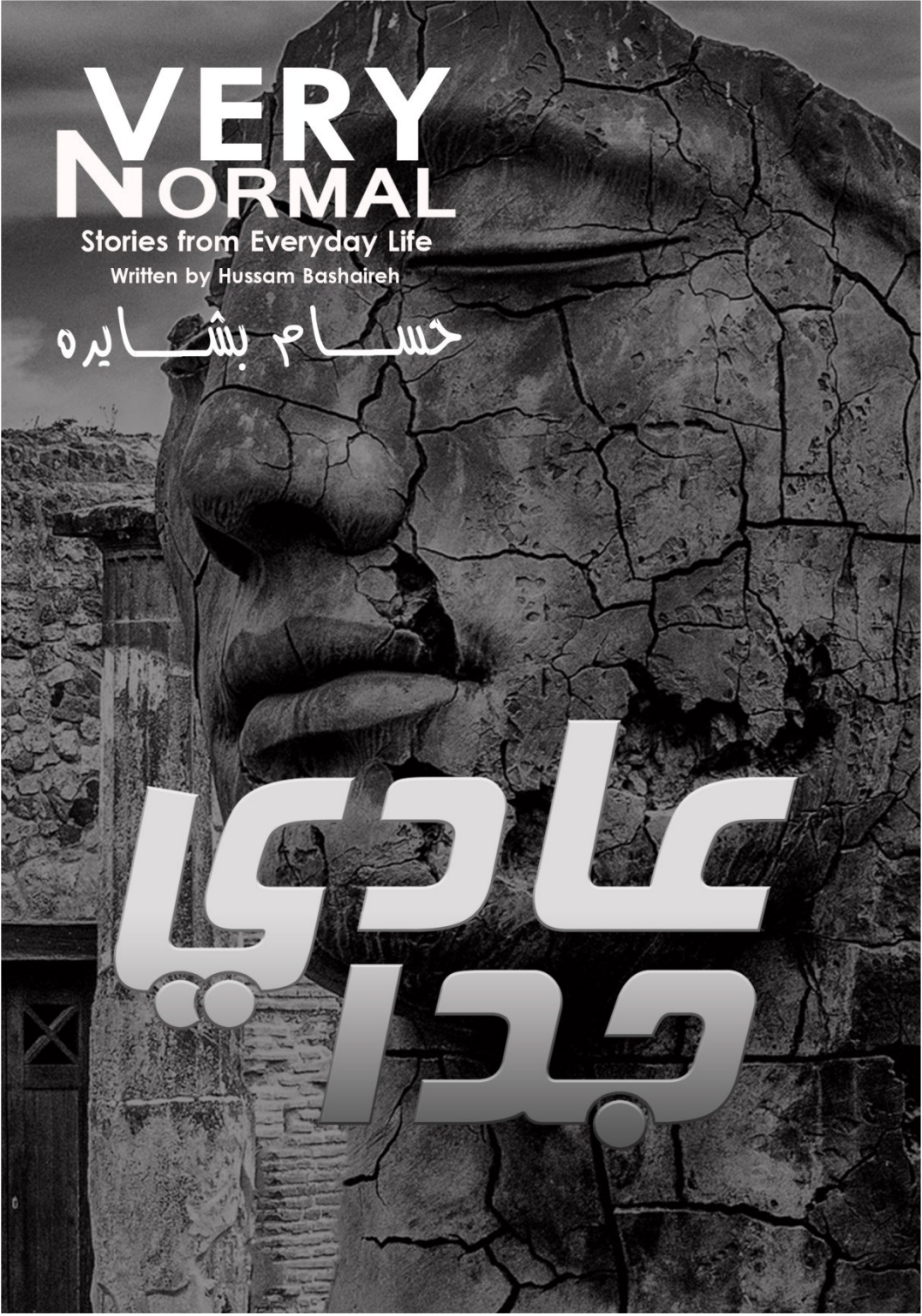
VERY
NORMAL
Stories from Everyday Life
Written by Hussam Bashaireh
حسام بشايره
عادي جدا

عادي جدًا

خواطر حسام بشايره

عادي جدًا

خواطر حسام بشايره

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه أو استنساخه أو نقله، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة سواء بطريقة إلكترونية أو آلية دون الحصول على إذن خطي مسبق بالموافقة من المؤلف.

Copyright © All rights reserved to the author. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the author.

الطبعة الأولى

2023

عادي جدًا

خواطر حسام بشايره

كأوراق الخريف .. في كل ورقة قصة وفي كل قصة أملًا

الأراء والاقتباسات الواردة في هذا الكتاب..
تعبر عن رأي المؤلف فقط.

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2023/8/4401)

عنوان الكتاب: عادي جدًا

تأليف: البشايرة، حسام عبدالمنعم عبدالرحيم

طباعة: دار الخليج للنشر والتوزيع، 2023

رقم التصنيف: 306.42

الواصفات: / الثقافة الجماهيرية/ / التجارب الحياتية/ / علم الاجتماع الثقافي

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه
ولا يعبر عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN: 978 – 9923 - 0 – 0773 – 0

تنسيق وإخراج الكتاب: حسام بشايره

تم تنسيق وإخراج الكتاب بواسطة
JB Hams MEDIA
للتعليق الصوتي والمونتاج

الإهـــــــــــــــــــداء

- إلـى كـل مـن يجـد في الكلمـات مـلاذًا، وإلـى أولئـك الـذين يختبئون بين سطور الأحاسيس والمشاعر.

- إلـى مـن يشـعرون بأهميـة كـل همسـة تُعَبِرُ عـن القلـب، ويبحثـون عـن صـدى لأفكـارهم وأحلامهـم، أقـدم هـذه الخـواطر كرفيـق في رحلة الحياة.

- لكـل مـن يُقـدر جمـال اللحظـات الصـغيرة وعمـق التجـارب الإنسـانية، أرجـو أن تجـدوا في هـذه الصـفحات مـا يعكـس جُـزءًا مـن تجـاربكم ومشـاعركم، ويمـنحكم لحظـات مـن التأمـل والإلهام.

لك أنت... ولي أنا
وإلى كل من يجوب الكتب باحثا عن نفسه

إلى أبي..

ما أجمل ذلك الإنسان الذي يأتي مساءً غفلة، فيمسح دمعة ويمنح أملًا.
ينادي بصوته الهابط... لا يُعاتب، ولا يكترث لعثرات لا تُرى.
يده مبسوطة، وكفاه دافئتان... يحنو برقة، ويُعانق بخفة الروح.
عيناه شفاء، وحروفه دواء، وقناعته اكتفاء.
يرسم ليومنا طريقًا، ويحدد لغدنا مصيرًا.

أبي شخصية:

إن تكررت يومًا ما، فهي شخصيتي بعين ابني وابنتي.
إن هرمت ملامحها، فهي في سبيل إسعادي وإسعاد أخي.
إن غاب صوتها، حزنت أمي وأختي.
إن رحلت، فقدتها أنا وابني وابنتي وأمي وأخي وأختي.

حسام بشايره

خواطر و قصص من حياتي الشخصية

مقدمة الكاتب

في هذا الكتاب، أترك نفسي تُعَبِر بحرية، أسترجع مواقف وتجارب شكلت ملامحي الداخلية، وأشارككم همسات قلبي في لحظات من التأمل والتفكر. هي صفحات كتبتها الرياح الخريفية، وأوراق تحمل حكمة الزمن وعبق الذكريات.

كُتبت هذه الخواطر مابين خريفي عام 2023 وخريف عام 2024 ، وكان السبب بتسميتها "عادي جداً".هو أننا كبشر معرضون لجميع مواقف الحياة..

كانت الفسحة بين الخريفين ودون مبالغة، هي أصعب فترة في حياتي، فترة رافقها الكثير من الألم والمعاناة والصبر.

كانت أشبه برحلة سير على الأقدام بين خريف وصيف، حيث ساهمت الظروف في اقتباس العديد من الموضوعات والإسهاب في سرد أخرى. وكما يقولون: "من رحم المعاناة يتولد الإبداع".

أتمنى أن تجدوا في محتوى هذا الكتاب الكثير من بصيص الأمل، والكثير من إبداع الكاتب في السرد، وفي اختيار الموضوعات التي قد تلامس شيئًا من مشاعركم في بعض الأوقات والمواقف.

مع تحيات المؤلف.. حسام عبدالمنعم البشايره

مقـــدمة عادي جدًا

كأوراق الخريف التي تتساقط بهدوء، حاملةً معها ذكريات الصيف ووعود الربيع، تأتي هذه الخواطر لتلتقط لحظات من الحياة، مشاعر متباينة وتجارب عابرة، لكنها تترك أثرًا في أعماق الروح.

في كل ورقة تسقط هناك قصة تُروى، وفي كل نسمة خريفية هناك شعور يمر بنا، تاركًا في قلوبنا صدى لا يُنسى، لكن عندما يتكلم القلب ينفتح ككتاب قديم، يبني فيه جسورًا من الكلمات ويبدأ بسرد قصة فريدة، تكون البداية فيها كأغنية هادئة، تنطلق من أعماق الوجدان لينساب معها لحن الحياة.

عندما ينفتح القلب.. تنبض كل نبضة فيه بلغة خاصة، وترسم لوحة فنية من تفاصيل العمر.. يروي مغامرات القوة والهمسات الخجولة، وتَتْلو الصفحات بلغة الشوق والشغف تاريخ العواطف والمشاعر، حيث تنسج الأحرف أواصر العلاقات والعشق، التي يتحدث فيها القلب بصدق.

عندما ينفتح القلب..يكشف عن أعماقه دون تزييف ويرسم مشهدًا من الصدق والوفاء.. يروي تجارب الحب والفراق بلغة الإحساس العميق، حينها يتحول الصمت إلى لغة تفهمها الروح، وهي لغة ليست مكتوبة بالحروف، بل هي لغة تُكتَبُ بالتواصل الخفي، لتبث السلام والحب دون البوح بكلمة واحدة.

"**عادي جداً**" هو سفرٌ في عالم الخواطر، حيث تتشابك الأفكار وتتقاطع المشاعر بين الفرح والحزن، وبين الأمل والحنين.

تمامًا كما يتغير لون الأوراق في كل فصل، تتبدل قلوبنا مع مرور الأيام، وتتغير رؤانا وتجاربنا...

بين صفحات هذا الكتاب: ستجدون أنفسكم تتنقلون بين الفرح والحزن، الأمل واليأس، التفاؤل والقلق.

هو سفر إلى أعماق الإنسان، حيث يتجلى الصدق، وتُفصَحُ عن حكايات لم تُروَ بعد.

أتمنى أن تجدوا في هذه الخواطر ما يعكس مشاعركم، أو ما يلهمكم للتفكير في تفاصيل الحياة التي تمر أمامنا، تمامًا كما تتساقط أوراق الخريف، بهدوء وجمال.

بعض الرحلات ليست كرحلات ابن بطوطة التي جاب فيها دولًا ومُدنًا وقارات. رحلة البعض منا تكون بينه وبين نفسه، يجوب فيها بين ما قدّمه في نهاره وما أسره في فؤاده، يرحل بذكريات ذهبت ولن تعود؛ بعضها يمزقه حسرة، وبعضها ينهشه شوقًا.

منها أماكن لم تعد كما كانت، ولا كما كان يعرفها. منها شخصيات تركت فيه أثرًا لا يُمحى من الحب والألم والمشاعر المعجونة بالوعود والخيبات. هي حياة فيها من كل المشاعر والمواقف. لا تتوقف عند أحد، ولا يكسرها أحد؛ ستمضي وإن كانت خالية من أي أحد.

في شغفي بالكتابة، وجدتني في أتون رحلة شاقة وشيقة انطلقتُ فيها بحثًا عن الكلمات. كمسافر في دهاليز الوقت وفيضانات الحياة، ألقيت رحالي على أكتاف الزمن، أقلب بحروف اللغة العربية. أسعى للارتقاء بخطواتي كالمستكشف الذي يجوب صحاري الوجود بلا خريطة، تحملني الرياح إلى مرافئ لا تُنسى.

أخذتني الأقدار إلى ممرات غامضة، حيث تغير كل شيء حولي، وأصبحتُ جزءًا من متاهة أو أنفاق مظلمة. في لحظة الكتابة، أعيش وأتنفس حكايا الساعات والأيام. تتسلل كلماتي بحروف التأتأة لتروي قصة حياة لم تكتمل بعد. لكنني بدأت المسير عبر أودية صامتة وجبال من الصبر، ألملم فيها تجاربي كأحجار كريمة، متأملًا في كل لحظة تمر.

أتسلق قمم المصاعب بشغف الباحث، وفي كل صعود تتشكل الحكاية التي أكتبها: "من أنا؟ وأين سأكون؟" تارة أجد ذاتي تتنقل بين الماضي والحاضر، وتارة أجد قدمي تطؤ الطين، تترك بصمات رحلة شاقة في بحث عن قطع اللغز الضائعة من واقعي.فكانت رحلتي في هذا الكتاب ترقية للروح، حيث تشتد كغصن شجاع في وجه رياح الحياة. أترك خلفي أثرًا في رمال الوقت.

في هذا الطريق، أنا لا أضيع نفسي، بل أجدها، وكل قطعة من تجربتي تضئ مساري نحو الاكتشاف الحقيقي. إنها رحلة البحث عن الذات.. تلك الذات التي بدأت عندما وُلدت.

الفصل الأول..

صوتي بين السطور .. من أنا وأين أنا .

يوم أن وُلدتُ، وصلتُ إلى هذا الكون خاليًا من الأعباء. قلبي صفحة بيضاء، لم تلوثها التجارب أو الأحزان بعد. استقبلتني الحياة بصرخاتي الأولى، كما لو أنها تنذرني بما ينتظرني. استقبلتني بصمتٍ مهيب، تتأملني كصغيرٍ سيكبر ويخوض معاركها، وستمنحني أفراحها وأحزانها.

استقبلتني كأنها تمنحني في لحظتي الأولى وعدًا غير مُعلن؛ وعدًا بالتغيير، بالنمو، وبالحب، وربما بالخسارة. لكنها تُهديني أيضًا الفرصة لأن أكون، لأن أعيش، لأن أتعلم، وفرصة لأترك بصمتي في هذا العالم الذي كان موجودًا قبل قدومي، وسيمضي بعد رحيلي.

أبصرتُ النور لأول مرة في حياتي في السادس من أكتوبر لعام1982، ومع أول لمسة لي من يد أمي. كانت تلك اللمسة من أكثر اللمسات وفاءً على وجه الأرض. ما كنت أدرك كيف كان شعور أمي حينها.. أكان مُحمّلًا بألم الولادة أم بفرحة قدوم مولودها الأول؟

أول ما شعرت به وأنا في مهد الطفولة تلك اليد الدافئة، التي كانت تهدهدني في الليالي الطويلة. كنت أنام وأنا أعلم أنني في أمانٍ مطلق، وأن الكون مهما ضاق أو اتسع لن يضرني شيء ما دمتُ في حضنها. لم تكن لمستها مجرد فعل عابر؛ بل كانت درسًا في الحب، وأن هناك من يحبني بعمقٍ لا يوصف.كنتُ أشعر أن كل جرحٍ في داخلي يلتئم بلمسةٍ من أمي، وكأن في تلك اليدين قدرة عجيبة على تهيأتي لاستقبال الحياة. كانت لمستها تخبرني بصوتٍ خافت: "أنا هنا، كل شيء سيكون بخير."

كان أبي هو أول من حملني بعد بطن أمي وحضنها الأول، وأول من عرفني، وأول من وعدني بالحب دون أن ينطق بكلمة واحدة. احتضنني بين يديه بكل دفء وأمان، وكان حضنه أول ملاذ لي في حياتي، نظراته التي حملت الفخر والدهشة، جعلتني أشعر، حتى دون أن أدرك، بأنني جزء منه، وأنني النبض الجديد الذي أضاف إلى قلبه سعادة لم يعهدها من قبل.كنت أول مولود له، وأول مرة يُنادى بإسمي، كان بالنسبة له يومًا لا يُنسى، لحظة امتزجت فيها مشاعر الحب والخوف، مسؤولية الأبوة، وبهجة الحياة الجديدة. رأيت في تلك اللحظة، رغم أنني كنت صغيرًا لا أعي شيئًا، كيف تشكّلت بدايات العلاقة التي ستمتد بيننا إلى الأبد، علاقة فيها العطاء والحماية والحب غير المشروط.

كانت سنتي الأولى مقدمة لعمر كامل، رسمت خلالها بدايات علاقتي مع هذا الكون، وأسس الحياة التي سترافقني إلى الأبد. كانت أشبه بحلم يتكوّن، حيث بدأتُ بخطوات صغيرة وعيون بريئة. كل يوم كان مغامرة جديدة، كل صوت جديد كان اكتشافًا، وكل ضحكة كانت أولى محاولاتي للتواصل مع من حولي. لا أذكر شيئًا من تفاصيل تلك السنة، لكنني أعلم أنني كنت محاطًا بالحب والدفء، وأن كل من حولي كان يحتفي بي، ويترقب أول ابتسامة، أول حركة، وبزوغ أول أسناني.

في حضن أمي سكينة، وفي يد أبي أمانًا. كنت أتعلم الحب والحنان قبل أن أتعلم الكلمات. كانوا ينتظرون أولى خطواتي، وأنا أتعلم أن الحياة ليست سوى سلسلة من المحاولات التي نخطوها بثقة أو تردد، لكن الأهم هو أن هناك من يحمينا ويدعمنا دائمًا.

بدأنا حياتنا كأطفالٍ يمرحون دون حساب، دون قيود، يعيشون الأرض فرحًا ببراءتهم وعفويتهم، وبردود أفعالهم التي قد تكون كلها مصدر الضحك لمن يكبرنا ويعي الحياة أكثر منا. كنا أطفالًا لا نعرف ماذا يعني الكيد وما هو الحقد، نجهل كل ما هو خلف أسوار الطفولة. كنا نعرف نوعًا واحدًا من الغيرة فقط، هو غيرة الحضن وغيرة القُبلة. كنا نستشعر أهمية العدل في توزيع المشاعر.

في الخامسة من عمري، كنت أركض بلا قيود، أبحث عن السعادة في ضحكة عفوية ولعبة صغيرة. كان عالمي بسيطًا وأحلامي كبيرة، وكل شيء حولي مدهشًا. كنت أرى الحياة بعيون فضولية مليئة بالألوان، وأصنع من خيالي عوالم لا تعرف المستحيل.كنا نتساءل: أين ذهب القمر في الصباح؟ ونفتقده في ليالٍ شتوية قد لا يأتي بها. نخاف العواصف والمطر وصوت الرعد ولمعة البرق

كل شيء يبدأ بحلمٍ صغير، وطفل يحدق في السماء باحثًا عن إجابات. تلك اللحظات الأولى التي نشعر فيها بأننا مختلفون، وأن هناك شيئًا في داخلنا يريد أن يخرج، يريد أن يصرخ للعالم، طفل يريد أن يلهو ويلعب. لكن كل خطوة إلى الأمام كانت محفوفة بالتحديات.. تحديات الحياة.

الحلم هو ذلك الشيء الجميل الذي أحمله في قلبي، لكنه غالبًا ما يصطدم بجدران الواقع. الحياة لا تمهد الطريق للأحلام، بل تقيم أمامها العقبات.

كبرنا قليلاً، وتعلمنا أشياء جديدة كل يوم! عرفنا أن العالم فيه أشخاص طيبون يحبوننا، وأننا نستطيع أن نرسم أحلامنا بألوان جميلة. صحيح أن بعض الأيام تكون صعبة، لكننا نعرف أن هناك دائمًا ضوءًا يشبه الشمس يضيء قلوبنا. نحن نحب اللعب والضحك، ونؤمن أن الحب والتسامح يجعل كل شيء أجمل. سنكبر أكثر، ونملأ الدنيا بالسعادة والفرح، لأن قلوبنا نقية ومليئة بالخير!

في العشرين من عمري، زاد طولي واتضحت ملامح وجهي واتخذت طابعًا سيرافقني لعقد من الزمن أو قد يزيد شيئًا، وبدأت أتعرف على نفسي أكثر. اكتشفت أن العالم أكبر مما كنت أعتقد، وأن الأحلام تحتاج إلى جهد لتتحقق. كانت الطموحات تُعانق السماء، والخطوات متسارعة نحو المستقبل.

كان الجميع حولي يريدون أن يصبحوا أصدقائي، وأنا كذلك. كانوا يقتربون، يستقون مني طموحًا وحلمًا وشيئًا مما أرسمه لمستقبلي، وأنا أيضًا أتقرب منهم، أستقي وأحلم مثلهم لمستقبلي ومستقبلهم.

كنت أتعلم من تجاربي، وأعثر على الأصدقاء والأماكن التي تشبهني. كانت الصعوبات تأتي من أماكن غير متوقعة وأوقات غير متوقعة أيضًا، لكن ما تعلمته هو أن هذه العقبات كانت تشكلني، تجعلني أقوى، وتدفعني للتفكير بطريقة مختلفة.

كبرتُ شيئًا فشيئًا، وبدأت أتساءل: من أنا؟ فوجدت نفسي فكرة تولدت من حروف الصمت، وسؤالًا تردد في أروقة الذاكرة.

أنا رحلة بين ملامح الزمن. خطواتي تُرتسم على طرقاتٍ مجهولة تبحث عن معنى. أنا نبضٌ يتردد بين القلب والعقل، يتساءل عن الحقيقة بين ما أريده وبين ما أكونه.

أنا روحٌ تجوب بين الحلم والواقع، تحاول أن تلتقط لحظة توازن بين الأمل والخوف. أنا قصةٌ لم تكتمل بعد. في كل يومٍ صفحة جديدة، كلماتها تحمل آمالًا وانكسارات، لكنها دائمًا مستمرة دون أن أعرف إلى أين تتجه بي. فرحتُ أغوص في بحر الحياة المتلاطم أمواجه، أبحث عن ميناء يرسو فيه قلبي، أبحث عن صوتي وسط كل الأصوات المتداخلة.

هل أنا هنا حيث أرى نفسي؟ أم أنني في مكان بعيد أبحث عنه دون أن أدري؟

قد أتوه وقد أنجو من كل خيبات الظن، وقد أجد نفسي كمسافر بلا عنوان، أسير على طرقات لا أعرف نهايتها، وأبحث عن وجهة لم تتضح بعد. في زحام الأيام، أنسى أحيانًا إلى أين أريد أن أذهب، ومن ينبغي أن يرافقني، وماذا أريد أن أحقق. فأكتشف أن حقيبتي مليئة بالأسئلة أكثر من الأجوبة.

أبقى في حالة دائمة من البحث، أتنقل بين المحطات دون أن أثبت عند واحدة منها طويلاً. أمر بمشاهد متعددة، وأتذوق طعم الحياة بكل ألوانها، لكنني أرفض أن أقيد نفسي بمكان أو فكرة ثابتة. أبحث عن معنى يتجاوز الحدود، وعن حرية لا تحاصرها القيود.

كل خطوة أخطوها تجعلني أدرك أنني قد أعيش دون هدف واضح، لكنني أتعلم من كل تجربة، من كل لقاء، ومن كل مشهد يمر في طريقي. في هذا الترحال لا أحتاج عنوانًا يحددني، بل أكون جزءًا من الرحلة ذاتها. أعيش تفاصيلها وأستمتع بجمالها في كل لحظة. أترك أثرًا في كل مكان أمر به، رغم أنني قد لا أعود إليه مجددًا.

ربما أعيش حالة من التشتت، أبحث عن مكان أو معنى، ولكنني أجد نفسي عاجزًا عن الثبات في نقطة معينة. تمر اللحظات وكأنني أسير في حلم، أترك خلفي علامات غامضة لا تفصح إلا عن مرور عابر لي، كما رحلت الأحلام الصغيرة المراهقة دون تمهل. لكنني أناشدها أن تُبقي لي شيئًا من الأمل، أن تتريث في رحيلها.

كثيرًا ما أجد نفسي في حاجة إلى تلك الأحلام المراهقة كمرشد وصديق، تذكرني بأن التفاؤل والشغف هما ما يجعلان الحياة تستحق العيش. لا أريد أن أفقد تلك الألوان الزاهية التي أضأتُ بها أفق شبابي، بل أريد أن أحافظ عليها كإلهام يقودني في مواجهة تحديات الحياة.

*****

في الثلاثين من عمري، أصبح صوتي أكثر جدية، وأسلوبي أيضا. اتسعت دائرة معارفي، أصدقاء وأقارب وزملاء العمل. أصبحت أعي الحياة أكثر، وأتعرف على أشخاص أكثر، وأتعامل مع أناس أكثر.بدأت أزن الأمور بعقلانية أكبر.

نضجت أحلامي وصارت أكثر وضوحًا. أدركت أن الحياة ليست سباقًا، بل رحلة تحتاج إلى تأمل وهدوء. أصبحت أقدّر التفاصيل الصغيرة، وأفهم قيمة الصبر.

في هذه المرحلة، بدأت أختار معاركي بعناية، وأبني أُسسًا متينة لأيامي القادمة. لكنني أصبحت في حاضرٍ تتشابك فيه الأفكار، وتتداخل فيه المشاعر بين ما أريد وما يجب أن يكون. أين أنا؟ في مكانٍ أحببته ولا أزال، أم في طريقٍ لم أختره ولكني أمشيه؟

هل أنا في أحلامي التي تسكنني، أم في واقعي الذي أحاول أن أصنعه؟ أم أنني في مكانٍ بين كل ذلك، حيث تأخذني كل خطوة إلى مكان جديد، وكل لحظة تكشف لي جزءًا من نفسي؟

قد أكون هنا، وقد أكون هناك، لكن الأكيد أنني في رحلة لا تنتهي. رحلة قد أجد فيها نفسي حيث لم أكن أتوقع، وأفهم أن "أين أنا" ليست سؤالًا يبحث عن مكان، بل هي رحلة تبحث عن معنى.

بعض من صادفتهم في الثلاثينات من عمري كانوا كنسمات رقيقة تهب على روحي المتعبة. جميلون بأرواحهم وأفعالهم التي تترك في نفسي أثرًا لا يُمحى. هم الذين يدخلون حياتي بلا ضجيج، حضورهم يشع دفئًا وراحة. يجعلون الأيام المظلمة أكثر إشراقًا، بكلمة طيبة، بابتسامة صافية، أو بتصرّف بسيط يحمل معه عمق المحبة والاهتمام.

وبما أن مواقف الحياة كثيرة ومتنوعة، وتتبدل حيث تشاء الأقدار، أجد أن بعض اللحظات في حياتي تُسجل بالصعبة، تمر عليّ كأنها أبدية، كألم فقد، أو ألم وحدة وغربة، أو ألم شوق. آلام ترسم على قلبي خرائط لا تُمحى. أحيانًا أسير بخطى متعبة، وأحيانًا أتراجع لأجمع شتات روحي.

وبعض اللحظات تُسجل بالجميلة، لكنها قصيرة. لحظات أسرقها من الزمن؛ قد تكون دفئًا وسط العواصف، أو بسمات خاطفة، أو لحظات سكينة مؤقتة، أو مرور طيف من أحب، أو سحابة فرج مرتقبة. تكون هدية من السماء، أحفرها في ذاكرتي، لأنها الوحيدة التي تمنحني الأمل لأستمر.

رحيل العقد الثالث من حياتي كان أشبه برحيل الصيف، الذي يرحل تاركًا خلفه

ذكريات تحمل طعم الدفء وألوان الفرح. يرحل بأنفاسه الأخيرة، التي كانت نسيمًا خفيفًا يعانق المساء بهدوء، تاركًا الأرض تستعد لاستقبال فصول أكثر هدوءًا وأقل ضجيجًا.

مع كل غروب شمس، كان الصيف يودعني قليلًا، كأنه يقول لي إن الجمال لا يبقى للأبد، وأن الفصول تأتي وتذهب كما تأتي الأحلام وترحل. لكن رغم رحيله، يبقى في قلبي، كدفء لا ينطفئ، وكبسمة عابرة على وجهي، وذكرى تعيش في تفاصيلي، تتردد في كل لحظة حنين، كحلم مؤجل إلى عودته في العام القادم.

رحيل الصيف كرحيل بقية المواسم، تمر كأنها فصول من رواية كتبها الزمن، يرحل واحد ليأتي آخر، وكلٌ يحمل في طياته حكاياته الخاصة. في رحيل كل موسم، أسمع وداعًا خافتًا يحمل معه لحظات الفرح والحزن، الإنجاز والانتظار.

رحيل المواسم ليس سوى جزء من دورة الحياة، يذكّرني بأن التغيير لا مفر منه. كما تتبدل الأيام بين برد الشتاء ودفء الصيف، يتبدل قلبي أيضًا. أتعلم وأنسى، أحب وأفقد. لكن في كل وداع موسم منهم، هناك استقبال لما هو آتٍ. هناك فرصة جديدة للبدء من جديد.. للبحث عن الأمل وسط تقلبات الحياة.

كل رحيل يحمل بين صفحاته بداية، وكل نهاية هي مجرد نقطة تحول نحو شيء آخر، ينتظرنا خلف الأفق. كذلك هو رحيل المشاعر في داخلي، يمضي بصمت، دون ضجيج ولا سابق إنذار. تتلاشى الأحاسيس تدريجيًا، كأوراق الشجر التي تسقط خفية في فصل الخريف، دون أن نلحظ بداية الرحيل. كأن تلك المشاعر التي كانت يومًا تملأ القلب حيوية وحرارة قد اختارت أن تغادر بهدوء، تاركة وراءها فراغًا لا يُملأ بسهولة.

رحيل المشاعر ليس دائمًا مؤلمًا؛ ففي أحيان كثيرة يحمل في طياته تحررًا من ثقل الأحاسيس التي لم تعد تناسبنا. لكنه يترك خلفه آثارًا ناعمة، كأثر النسيم على الماء، تذكرنا كيف كانت تلك المشاعر ذات يوم جزءًا منا، وكيف أنها الآن أصبحت ذكرى بعيدة.

في كل رحيل للمشاعر، هناك بداية لأخرى؛ فالقلب لا يبقى فارغًا طويلًا. هو ينتظر ليعود النبض مجددًا، ولو على هيئة شعور مختلف، أكثر هدوءًا أو أكثر عمقًا، وقد يتشابه مع رحيل العثرات من حياتي.

*****

في الأربعين من عمري، أصبحت محملًا بحكمة السنوات التي مضت. أصبحت أكثر تصالحًا مع نفسي ومع الحياة. لم أعد أبحث عن الكمال، بل عن السلام. أفهم أن كل مرحلة لها جمالها، وأن كل تجربة أضافت لي شيئًا جديدًا. في الأربعين، أعيش اللحظة. أحتفي بما أنا عليه الآن، وما وصلت إليه.

وصولي إلى سن الأربعين من حياتي لم يكن سهلًا. أحيانًا كنت أجد نفسي في مواقف أشعر فيها بالوحدة، حيث يبدو لي أن كل الأشخاص وكل شيء يقف ضدي. حينها، أدركت أن الصمود ليس خيارًا، بل هو السبيل الوحيد. قد أسقط، لكن النهوض هو ما يحدد شخصيتي. مررت بمواقف جعلتني أشعر بأنني قد وصلت إلى النهاية، لكن كنت دائمًا أجد في داخلي ذلك النور الخافت الذي يضيء لي الطريق.

ضاقت دائرة معارفي، وباتت تنحسر بعائلتي وما حولها، والقليلون جدًا ممن بقي معي من أبناء حارتي وقريتي. في الأربعينات، لم يعد رفيق العشرينات صديقي؛ قد لا يتذكرني لأن ملامحي كبرت واختلفت، ولا صديقي في الثلاثينات يعرف عني شيئًا، وقد لا يكترث إن رآني، فأنا مثله شغلتني الحياة بما لا ترحم به المرء.

في كل لحظة يشتد فيها الظلام أمامي، أتذكر أن الحياة ليست سوى رحلة، وأن كل منعطف وكل عقبة ليست إلا جزءًا من تلك الرحلة. فلربما تكون تلك العواصف التي أواجهها اليوم هي ما سيجعلني أقوى غدًا، وربما تكون تلك الأحزان التي تثقل قلبي اليوم هي ما سيمنحني القدرة على تقدير الفرح حينما يأتي. فالحياة، بكل ما فيها من تقلبات، هي في النهاية هدية، وتلك الهدايا تستحق أن أثمّنها، حتى وإن كانت مغلفة بالألم.

الحياة تتغير، وأنا أتغير معها. لكن التكيف ليس دائمًا سهلًا. في بعض الأحيان، أجد نفسي في مواجهة شيء جديد تمامًا، شيء يتطلب مني أن أكون شخصًا مختلفًا. التغيير ليس في المظهر أو المكان، بل في الداخل. كان علي أن أتعلم أن أقبل نفسي كما أنا، بكل ما في داخلي من تناقضات وأحلام لم تتحقق بعد.

تأتي لحظة في حياتي أدرك فيها أن كل ما مررت به كان له معنى. كل دمعة، كل ألم، كل خسارة كانت تشكل جزءًا من القصة الكبرى التي أعيشها. النجاح ليس في الوصول إلى مكان ما، بل في الرحلة نفسها، في كل لحظة تعلمت فيها شيئًا جديدًا عن نفسي وعن الحياة.

كنت وفي مرحلة متقدمة من عمري على قناعة تامة بأن الحياة لن تكون سهلة أبدًا. سأواجه تحديات ومواقف تبدو فيها الأمور مستحيلة. لكن علمتني الأيام أن القوة الحقيقية تأتي من الداخل. لذا، لن أستسلم ولن أفقد الأمل، لأن كل تجربة مهما كانت صعبة تُضيف لي قوة جديدة، وتصنع مني شخصًا أفضل.

نحن لا نكبر بسهولة. لا نكبر دون مصاعب، أو دون تجارب، أو دون أن نحارب. نكبر عندما نتعلم أن الدنيا ليست كما كنا نراها ونحن أطفال. حين ندرك أن الجمال ليس فقط فيما تراه أعيننا، بل فيما تشعر به قلوبنا. نكبر عندما نرى أن النجاح لا يُقاس بعدد الإنجازات، بل بقدرتنا على أن ننهض بعد السقوط، وأن نبتسم رغم الألم.

نكبر عندما نفهم أن الحب ليس كلمات تُقال، بل أفعال تُرى، وأن الصمت في بعض الأحيان أبلغ من ألف كلمة. نكبر عندما ندرك أن الأمان لا يأتي من الآخرين، بل ينبع من داخلنا.

نكبر حين نصبح أكثر هدوءًا أمام الفوضى، وأكثر قوة أمام المصاعب، وأكثر حكمة في مواجهة الأيام. نكبر عندما نعلم أن الحياة ليست مسابقة، بل رحلة تحتاج إلى صبر، وعندما نؤمن أن الأمل هو ضوء لا يخبو، مهما كانت العتمة.

اعتدت أن أعامل الكبير والصغير بكل احترام. أقدر أن الكلمة الطيبة ومنح كل شخص يقابلني مساحة كافية للتعبير عن نفسه والإفصاح عن طموحاته، وعن بعضٍ من أحلام يأمل بتحقيقها شيء جميل. بعضهم قد تكون الكلمات حافزًا له على التقدم بكل ما يأمل في حياته، وهي كلمات لا تكلفني شيئًا، لكنها تزيد من قيمتي الإنسانية بيني وبين نفسي وفي نفوس من أعاشر.

قد تكون بعض الكلمات التي ألقيها بلا مبالاة جروحًا عميقة في قلب آخر، وقد تكون النظرة التي أراها بسيطة هي مصدر قوة أو ضعف لشخص آخر. ربما يحمل الإنسان الذي أظنه بسيطًا أحلامًا وآمالًا عظيمة، ويملك حكمة أو قدرة على الصبر قد لا أجدها في غيره، وقد تكون مشاعره أكثر نقاءً مما أتخيل.

بعض الكلمات ليست كأي كلمات تقال، إنما تأتي على هيئة طاقة، أو مزيد من القوة والمزيد من الأمل. ليست مجرد كلمات عابرة، بل تخرج لتكون كدافع بأن ما أمر به أو أشعر به سينجلي، وسيصبح ذكرى مهما كانت قسوته. ربما أكون في قلق من مصير، أو بانتظار شفاء مريض، أو عودة شخص أو مفقود.

تأتي الكلمات من بعضهم كشِفاء في لحظة قهر، أو في لحظة ترقب. يحملون في قلوبهم صفاء الحروف. يعرفون جيدًا متى يأتون وكيف ينطقون. يعرفون جيدًا أن الكلمة الطيبة لا تُنقص من قيمتهم شيئًا، بل تزيدهم حُسنًا في قلبي، وتُزين حضورهم في فؤادي. إنهم الطيبون، الذين يمنحون جمال أرواحهم دون شروط، دون مواعيد. وهم من أشبههم بابي..

أستشعر مع الأيام أن قيمة الإنسانية والسلام في نفسي شيء لا يضاهيه شيء. تُشعرني بالسعادة وتُشعرني بأني بخير. تلك الكلمة التي شعرت بأنها لا تُقال على عجل، بل هي إحساس عميق ينبع من داخلي.

قد أعتقد أحيانًا أنني أعرف الجميع بعمق، وأنني قادر على قياس قيمتهم بناءً على مظهرهم أو سلوكهم الظاهري. لكن الحقيقة أن كل إنسان يحمل في طياته صفحات مليئة بالقصص والتجارب التي قد لا أرى منها سوى القليل. ولربما يأتي يوم أحتاج فيه لمن كنت أستهين به.

فلأكن رحيمًا لطيفًا مع الجميع، فالحياة تدور، والأيام تتغير، ولا أعلم متى سأكون في مكان من تجاهلت.

*****

رغم كل الأوقات الصعبة التي قد أعيشها، فإني ما زلت أحمل في قلبي نورًا لا ينطفئ. "أنا بخير"، لأنني أؤمن بقدرتي على التغيير إن كنت أرى من نفسي إنسانًا يحتاج لذلك، ولأنني أؤمن بقوة البدايات الجديدة، ولأنني أرى في كل يوم فرصة. ولأنني أستمد قوتي من لحظات البساطة والسكينة، وأجد السعادة في الأمور الصغيرة التي تجعل حياتي ذات معنى.

"أنا بخير"، ويمكنني أن أكون بخير أكثر، لأنني أحيط نفسي بأمل صادق يدفعني للأمام عندما تتعثر خطواتي. ولأنني أتعلم من كل تجربة وأزداد حكمة وقوة. ولأنني أختار أن أكون كذلك. أختار الأمل، وأختار الفرح، وأختار الحياة بكل ما فيها من جمال وعثرات.

كلما شعرت بأن الحياة تضيق بي، أو تلقي بي إلى المجهول، وكلما أدركت أن حياتي أصبحت بلا طعم، أجدني أعود بذاكرتي إلى تلك اللحظات التي كانت تفيض بالحياة. أبحث عن البهجة التي كانت تملأ قلبي، وعن الشغف الذي كان يوقظني كل صباح.

أحيانًا، أظن أنني فقدت الطريق، وأحيانًا أخرى، أشعر أني وقفت عند منعطف الحياة بلا هدف. لكنني أعلم أن البحث عن النور وسط الظلام هو بداية الشفاء من أي ظن، وأن إدراك غياب الطعم هو أول خطوة نحو استعادته.

ربما تكمن سعادتي في تلك التفاصيل الصغيرة التي غفلت عنها، وفي الابتسامات التي تجاهلتها، وفي لحظات الهدوء التي لم أقدرها. لكني سأظل أبحث، وأحلم، وأنتظر، حتى تعود الحياة بنكهتها التي أعرفها.

أكثر الأرواح سعادة: هي تلك التي أجدها في النفوس التي لم تؤذِ أحدًا، تلك التي تمضي في الحياة بخفة وهدوء، لا تحمل في قلبها ضغينة لأحد، إنما تحمل نقاءً يشبه نقاء السماء بعد المطر. تعرف أن القوة الحقيقية في اللطف والرحمة. لا تقارن نفسها بالآخرين، بل تختار الحب على الكراهية، والتسامح على الحقد، والرحمة على القسوة.

والتي لا تحمل على كتفيها ثقل الأخطاء أو الإساءات، بل تجد السعادة في التفاصيل البسيطة: ابتسامة صادقة، كلمة طيبة، يدٌ ممدودة. تفرح عندما ترى السعادة في عيون من حولها. تعيش بحكمة، وتعلم أن كل فعل يصدر منها سيعود إليها بطريقة ما، فتختار دائمًا أن تكون مصدر خير وبركة.

في كثير من اللحظات الفاصلة، أرى نفسي أحيانًا ضعيفًا، تائهًا بين الأحداث. وأحيانًا أخرى أرى النور يتوهج في عينيّ، فأدرك أنني لست مجرد متفرج، بل صانع للأحلام، ومحقق للأهداف.

أتوقع كثيرًا وأتأمل وأحلم، لكن ليس كل ما أتوقعه قد يصيب. ربما تفاجئني توقعاتي بما لم يكن في الحسبان. حينها أشعر بالخيبة أو بالقلق. لكن أحيانًا قد تكون الأحداث التي لم أتوقعها هي الأكثر تأثيرًا في مساري، هي التي تقودني إلى اكتشاف أشياء جديدة، وتمنحني فرصة لإعادة ترتيب أوراقي من جديد.

من أراد أن يفهمني، لا أحتاج إلى تذكيره بأن بين منطوق لم يُقصَد ومقصود لم يُنطق يضيع الكثير من المحبة. فهو يعرف كيف يفهمني ومتى، ولن ينتحل شخصية الغريب معي لأنه يعي ما أنطق ويفهم كل ما أبوحه بصمت.

العادات السيئة مثل جدران غير مرئية، نحيا خلفها دون أن نرى ما يُنتزع منا ببطء، كأنها أشواك تنغرس في أعماقنا، نراها جزءًا منا رغم ألمها. كل عادة سيئة تحمل في طياتها وعدًا زائفًا. متعة لحظية تعقبها ساعات من الندم، أو راحة مؤقتة تشوهها مشاعر الإحباط.

لا أحب أن أكون متناقضًا، ليس خوفًا من مراقبة الناس أو انتقادهم لي، ولا من تلك النظرات التي تحكم عليّ بكلمة متقلب، أو تَصِفُني بمزدوج الوجه. بل لأنني أرفض أن أعيش أي حالة تتعدد فيها وجوه شخصيتي، وتتقلب فيها آرائي. أريد أن أكون أنا، كما أنا، بوجهٍ واحد، ثابتٍ أمام كل شيء.

التناقض يزعجني لأنه يمزق شيئًا بشخصيتي، يضعني بين مواقف متضاربة وكلمات لا تلتقي.

لا أريد أن أقول شيئًا اليوم وأناقضه غدًا. أريد أن تعكس أفعالي ما بداخلي، أن أكون صادقًا مع نفسي قبل أن أكون صادقًا مع من حولي. ثابتًا برأيي وبقراراتي. لا لأرضي الآخرين، بل لأرضي نفسي وأحافظ على نقاء سريرتي.

أعاتب بصمت وهدوء في وقت لا أجرؤ فيه على العتاب بصوت مرتفع، فأجمل أنواع العتاب هو الذي لا يحمل أي كلام، ولا يُترجم إلى أي لغة، ولا يحتاج إلى أي حروف.

وكأن في الصمت ألف قصة وألف شعور. عتاب يحمل كل شيء دون أن يقول شيئًا. يجمع بين عيونٍ تتحدث دون أن تنطق، وقلب يفيض بالشعور دون أن يُصرح. عتابٌ يُقال في غياب الحضور، يمر بين السطور وخفقات القلب. يُعلّمنا أن الصمت أحيانًا أكثر صدقًا من أي حديث.

همي يختلف عن هموم الكثيرين ممن لا يعلمون ما بي من ألم. يُدلون بما لديهم، ويتحدثون عن تفاصيل قد تبدو بسيطة وسطحية بالنسبة لي، بينما أعماقي تغرق بما لا يعرفون شيئًا عنه. ربما لأنهم لم يأتوا ليَسمَعوني بل ليُسمِعوني، وربما لم يفسحوا لمشاعري الطريق للمرور من أمام أنانيتهم وحرصهم على أنفسهم. وقت البكاء قريبون، وفي لحظاتهم السعيدة لا يأتون ولا يبوحون. ربما يرون أن لا حَسدَ في الهم، ولكنه قد يفترسهم في كل لحظة فرح يتحدثون بها.

إعتدت في حياتي أن لا أقارن بدايتي بموسم حصاد الآخرين، لأنني أدركت أن لكل منا طريقه الخاص، وزمنه الذي يناسبه. نحن لا نزرع بذور أحلامنا في نفس التربة، ولا نسقيها بنفس المطر.

بعض الأحلام تحتاج إلى شمس ساطعة لتكبر، وبعضها يحتاج إلى ظلال الليل وسكونه. أؤمن أن الثمار التي أجنيها اليوم ليست سوى انعكاس لما زرعته بالأمس بصبرٍ وإيمان، حتى وإن بدت خطواتي بطيئة أو نتائج جهودي خفية.

علّمتني الحياة أن النجاح ليس سباقًا مع الآخرين، بل هو رحلة مع نفسي. فكل خطوة أخطوها، مهما كانت صغيرة، تقترب بي من حصادي الخاص. وقد يكون الطريق لموسم الحصاد الذي أنتظره طويلاً، لكنه سيكون وفيراً ومُلوَّنًا بنكهة انتصاراتي الخاصة، تلك التي بنيتها بيديّ وبقلبي. لذا لا أتعجل ثمار الحياة، ولا أقارن نفسي بمن سبقني، لأنني على يقين بأن لكل منا وقتًا، وموسمًا سيشرق فيه بضيائه الخاص.

لا أحبذ تأجيل عمل اليوم إلى لغد إن كان بإمكاني إنهاؤه اليوم، فالغد قد يأتي مثقلاً بما لا أتوقع، إن تأجيل العمل ليس إلا عبئًا أضيفه على نفسي، عبء قد يتراكم حتى يُثقل كاهلي. لذا، أفضّل أن أكون حاضرًا اليوم، أسابق الوقت وأغتنم الفرصة، فكلما أنجزت اليوم ما يجب إنجازه، تركت مساحة للغد لأستقبل الجديد دون ضغط أو توتر.

ابتعدُ عن أولئك الذين يمحو النهارُ كلامَ الليل عندهم، فهم لا يقدمون ولا يؤخرون. يعيشون في دائرة مغلقة. تذوب وعودهم مع أول شعاع من الشمس، ويحكم الكسلُ خطواتهم. لا يتجرأون على التقدم خطوة واحدة في حياتهم، يخشون التغيير ويفضلون البقاء في أماكنهم. هؤلاء لن يدفعوني خطوة واحدة للأمام، بل يحاولون إبقائي عالقًا مثلهم، ننتظر أن تتغير الأمور من تلقاء نفسها.

نؤجل كل شيء إلى ما بعد، فنجد أن "ما بعد" ما زال بانتظارنا، بل وقد يصبح بريئًا منا.

حينما نصل إلى مرحلة كبيرة من الوعي، يتوجب علينا أن نتعرى من كل الأفكار التي تثقل كواهلنا. نخلعها كما نخلع ثيابنا القديمة، وكأنها لم تعد تناسبنا. نتعرى من كل قناعة كبلتنا، ومن كل فكرة ظننا أنها حقيقة ثابتة، لكننا أدركنا أنها كانت مجرد أوهام قبضت على نفوسنا.

قد نتعرى من بعض أفكارنا عندما نكتشف أن ما آمنا به قد خاننا، وأن ما سعينا إليه كان سرابًا يبتعد كلما اقتربنا منه. ما أجمل أن نقف أمام المرآة بلا أقنعة، بلا حواجز، نواجه أنفسنا بصدق. تلك المواجهة ليست ضعفًا، بل شجاعة تعيد تشكيل ذواتنا من جديد. إنها شجاعة البداية، صفحة بيضاء خالية من القيود، نخط عليها رؤى نقية، خالية من الشوائب.

البعض قد يخون كل ثقة منحتها له، لكن لا بد أن تأتي لحظة أقرر فيها حماية ما تبقى من مشاعري. لقد حان الوقت للتوقف عن تقديم قلبي على طبق من ذهب لمن لا يقدر قيمته. مررت بتجارب مريرة، حيث تعلمت الصبر والتحمل، لكن ما جنيته في النهاية كان الخذلان والكبرياء من أولئك الذين ظننت أنهم سندٌ لي في لحظات ضعفي.

ليس كل من يُظهر القرب مني يستحق مشاعري. فهناك من يتخذ طيبتي سخرية، ويحوّل الصدق إلى أداة لاستغلالي. قد يقول البعض إن في المجازفة فرصة للأمل، ولكن هل يستحق الأمر أن أخاطر بجوانب أخرى من نفسي لمجرد احتمال ضئيل؟

لن أسمح للألم بأن يكرر نفسه، ولن أسمح لأحد باستنزافي مجددًا فالمشاعر الصادقة قيمة، ويجب أن تُمنح بحذر. ما تبقى من مشاعري أثمن من أن يُهدَر في محاولات قد لا تأتي إلا بجرح آخر.

تعبت من خيبات الأمل التي جاءتني من أولئك الذين كلما منحتهم ثقة وحبًا زائدًا، ردوا عليّ بالصدمات والخيبات. كأنني كنت أزرع في أرض عقيمة، لا تعرف معنى الخصوبة، أرض لم تشعر بقيمة الماء الذي أسقيها به، ولم تثمر سوى شوكًا يجرح يدي.

كنت أظن أن الصدق كافٍ ليجعل قلوبهم مرايا تعكس ما أقدمه من حب واحتواء، لكنها كانت مجرد جدران صماء، لا تسمع ولا تشعر. تعيد إليّ الصدى في صورة صدمات لا تنتهي.

كنت أعتقد أنهم يشبهونني، إن منحتهم الأمان سيحفظونه، وإن قدمت لهم الحب سيردونه بمثله. لكنني اكتشفت أنهم لا يحملون من الحب إلا بقدر ما يخدم مصالحهم. كلما اقتربت منهم أكثر، ازدادوا بُعدًا، وكلما منحتهم المزيد من الثقة، زادوني خذلانًا.

كانوا يعاملونني كنبع لا ينضب، يتوافدون لملء أنفسهم ثم يتركونني جافًا، عطشًا لقطرة من الاهتمام أو التقدير. لكن تلك الخيبات جعلتني أقوى وأكثر حذرًا. لم أعد أمنح ثقتي بسهولة، لكنني لم أفقد قدرتي على الحب. أدركت في النهاية أنني لست ضعيفًا، بل قوي بحبي ونقائي. قوي لأنني رغم كل الصدمات، لا زلت أؤمن بأن هناك من يستحق أن أمنحه جزءًا من قلبي. ولكن هذه المرة، سأكون أكثر انتقاءً.

لن تتوقف حياتي عند الأشياء التي خذلتني، فالحياة تمضي، ولا تلتفت إلى الوراء. لن أقف أمام باب أُغلق في وجهي، ولا حاجة لأن أُثقل كاهلي بما ألقاه القدر في طريقي. المهم هو أن أنهض، وأزيل الغبار عن خطواتي، وأعيد رسم الطريق من جديد.

ثمة جراح في قلبي، لو خرجت لن تشفيني ولن توقف نزيفي. ستكون فقط إشباعًا لفضول من يترقب سقوطي، ومن يتمنى أن يراني أضعف مما أنا عليه. هؤلاء لن يوقفوا النزيف. وعندما يتأكدون أنني ما زلت أنزف، سيختفون وكأنهم لم يكونوا، حتى وإن كان في أيديهم منديل يوقف الجراح.

تعلمت أن الأرواح الحرة لا تُقيدها خيبات الآخرين. كل خذلان هو درس، وكأنه جزء من رحلة تُعلم القوة والصلابة. من خذلني كشف لي عن جانب لم أكن أراه. أنا لست ملكًا لمن تركني، ولا عالقًا في ذكريات من خان ثقتي. كل خذلان هو محطة، لكنه ليس الوجهة. الوجهة هي أنا، بأحلامي، وبإصراري على أن أكون أقوى مما كنت، وأعمق مما أتصور.

في كل مرة كنت أختار الآخرين على نفسي، كنت أخسر جزءًا من ذاتي، حتى استيقظت يومًا لأجد أنني لم أعد أعرف من أكون. كأنني غريب عن نفسي، أرى ملامحي في المرآة، لكنني لا أتعرف على الروح التي كانت تسكن بداخلي.

أشتاق لتلك الروح التي كانت تعرف كيف تحلم بلا خوف، كيف تضحك من القلب، وكيف تُحب الحياة ببساطة ودون تعقيدات. روح أضعتها بين المسؤوليات المتراكمة، وبين محاولات إرضاء الجميع وتلبية متطلبات الحياة.

أشتاق لنسخةٍ مني كانت تملؤني طاقةً وشغفًا؛ كانت تبحث عن الجمال في أبسط الأشياء. كانت تحلم دون أن تقيدها قيود. أتساءل أين ذهبت تلك النفس التي كانت تعشق المغامرة وتواجه الحياة بقوة؟ هل فقدتها إلى الأبد؟ أم أنها مختبئة في مكانٍ ما داخل أعماقي، تنتظر اللحظة المناسبة لتعود؟

سأبحث عنها في كل لحظة هدوء، في كل مساحة صغيرة أسمح فيها لنفسي أن تكون كما كانت، بلا ضغوط ولا توقعات. سأستعيدها، لأنني أحتاج إليها أكثر من أي وقت مضى. أحتاج إلى نفسي التي أضعت، لأستعيد معها الحياة التي أحب.

تعلمت، ومن خلال ألف تجربة في حياتي، أن مشكلتي تكبر بقدر اهتمامي بها؛ كأنها مرآة تعكس حجم القلق الذي أضعه فيها. كلما ركزت عليها تضخمت في عيني، حتى تبتلع راحتي وسلامي الداخلي.

قد تكون المشكلة في بدايتها صغيرة، مجرد حجر صغير على الطريق، لكن عندما أجعلها محور تفكيري وأمنحها أكثر مما تستحق، تتحول إلى جبل يصعب تجاوزه. كم من أمرٍ بسيط أخذ مني وقتًا وجهدًا أكثر مما يستحق؟ ليس لأن حجمه كان كبيرًا، بل لأنني كبرته في ذهني.

في لحظات القلق، أفقد قدرتي على رؤية الأمور بحجمها الطبيعي، فتبدو المشاكل كأنها لا تُحل، وتتصاعد التفاصيل الصغيرة لتصبح عقبات ضخمة. الحقيقة أن الاهتمام الزائد لا يحل المشكلة، بل يغذيها ويجعلها تنمو حتى تصبح هاجسًا يلاحقني في كل لحظة.

تعلمت أن التوقف عن المبالغة في التفكير في مشكلتي هو نصف الحل؛ أن أنظر إليها بعين هادئة، وأضعها في مكانها الصحيح دون أن أمنحها السلطة على مشاعري وحياتي. ليس كل ما يزعجني يستحق أن يأخذ حيزًا كبيرًا من تفكيري؛ فالحياة مليئة بالتفاصيل الصغيرة، وإذا سمحت لكل واحدة منها أن تتحول إلى معضلة، سأفقد قدرتي على الاستمتاع بأي شيء.

جلاء المشاكل أو الهموم قد يأتي بلا موعد، لكن بانفراجتها تُغشى على القلب مشاعر لطيفة تعيد للروح سجاها، كعودة الخريف بهمسه البارد وأوراقه المتساقطة على الأرصفة. يعود الخريف ليذكرنا بأن الحياة تحمل بين طياتها رحيلًا صامتًا وبداية جديدة. نشعر بنسماته التي تلامس وجوهنا بلطف، كأنها تحمل بين ذراتها ذكريات الصيف التي مضت وأحلام الشتاء القادمة.

في زحمة الأيام وعبث الأوقات، أجد نفسي أبحث عن لحظة هدوء لأتحدث إلى تلك النسخة الصغيرة مني، التي كانت تحلم وتطمح ببراءة وعفوية. كنت أراني أتخذ من الطموحات أجنحة، وأبني قصورًا من الأحلام، دون أن أهتم بالعقبات أو التحديات التي قد تقف في طريقي.

تحديات علمتني ألا أتسرع في الحكم على الدنيا أو في انتقاد نفسي، وبرغم أنني كنت أتعامل مع الحياة كأنها لعبة كبيرة، كنت أستمتع بكل لحظة، وأتعلم من كل تجربة دون أن أعرف ثقل المسؤوليات أو تعقيدات الواقع.

تحديات علمتني ألا أجعل من صدمات الحياة مصدرًا لليأس، بل أجعل منها دروسًا تعلمني الصبر، وألا أتوقف عن الإيمان بنفسي وبقدراتي، حتى وإن كانت الأوقات صعبة أو المحيط غير مشجع.

أتذكر دائمًا أن لدي قوة تجعلني أتجاوز كل صعوبة، وأملًا يمدني بالطاقة لمواصلة السعي. ولأنني ببراءتي وشجاعتي بدأتُ رحلتي، سأبقى أحمل في قلبي تلك النسخة التي كانت تنظر إلى الحياة بعيون واسعة.

كم نبحر في هذه الحياة حاملين أحلامنا على أشرعة الأمل، نرسم مساراً صافيـًا، ونكتب نهايات سعيدة. ولكن ما أصعب أن تهب الرياح على غير ما نريد، فتُغير وجهة الرحلة، وتُبعثر أوراقنا.

نجد أنفسنا في مواجهة أمواج عاتية، نبحث عن شواطئ الأمان بين دوامات الحيرة.. نتساءل: لماذا لم تكن الرياح لطيفة كما تمنينا؟ ولكننا ننسى أن الرحلة وإن لم تكن كما خططنا، تبقى هي التي تصقل أرواحنا، وتعلمنا أن الأمل لا يكمن في الوجهة، بل في قدرتنا على التمسك بالدفة، مهما تغيرت الرياح.

الأشرعة تظل شاهدة على كل ما مررنا به، والريح التي لم تأتِ بما نرغب قد تحملنا إلى مكان لم نتخيله، لكننا قد نجد فيه سلامًا أعمق مما حلمنا به يومـًا.

كلما عصفت المواقف وأغلقت أبوابها أمامي، أقف على حافة الحياة، أراقب أمواج الزمن وهي تتكسر على صخور الأمل. كل موجة تحمل معها حملًا ثقيلًا من الذكريات، بعضها يختلط بملح الدموع، وبعضها يتلاشى في بحر النسيان.

بين كل موجة وأخرى، أستشعر نبضًا خفيًا يحاول أن يسلب مني ما تبقى من حلم. إنه ذلك الصوت الداخلي، ذلك الهمس الذي يتسلل إلى الروح في لحظات الضعف، يحاول أن يقنعني بأن الطريق مسدود، وأن الجهد هباء.

لكنني أتمسك بحبل الصبر، ذاك الحبل الرفيع الذي يُغزل من خيوط الأمل. أتشبث به بقوة، لأنني أعلم أن العواصف مهما اشتدت، فإنها في النهاية ستهدأ، وأن السماء مهما عبست، فإنها في النهاية ستبتسم.

وكعودة أيلول في كل عام.. يعود الخريفُ بهمسه البارد، وأوراقه المتساقطة على الأرصفة. يعود ليذكرنا بأن الحياة تحمل بين طياتها رحيلًا صامتًا وابتداءً جديدًا. نشعر بنسماته التي تلامس وجوهنا بلطف، كأنها تحمل بين ذراتها ذكريات الصيف التي مضت وأحلام الشتاء القادمة.

الخريف ليس موسمًا للفراق فحسب، بل هو لوحة تتلون فيها الحياة بمزيج من الحنين والأمل. أوراق الشجر التي تتساقط ترسم قصصًا قديمة على الأرض، تهمس لنا بأن لكل شيء نهاية؛ لكنها ليست النهاية التي نخاف منها، بل هي البداية التي تسبق التجدد. ففي كل ورقة تسقط، تنبت بداخلنا أحلام جديدة، وفي كل نسمة تهب، تتجدد أرواحنا.

تجديد الأرواح يمنحنا فرصة للعودة إلى كل ما تركناه ورائنا لما فيه من دفء الذكريات. نعود لأن بعض الأماكن التي عشنا فيها وتركناها ذات يوم تحمل في طياتها همسات من الماضي، وكأنها تنادينا لنعيش لحظات قد تكون تاهت في زحمة الأيام. ولأن القلوب لا تنسى، ولأن الأثر الذي تركناه في النفوس يظل نابضًا بالحياة.

نعود لنجد أنفسنا مجددًا، لنتذوق طعم الفرح الذي كان، ونلامس ألم الفراق الذي مرّ. نعود لأننا نحتاج إلى أن نتذكر مَن كنا وكيف أصبحنا. نعود لأن هناك أشخاصًا وأماكن تركت فينا بصمة لا تمحى، ولأن العودة هي الطريقة الوحيدة لنحكي حكاياتنا من جديد بعيون أوسع ونفوس أصفى، بعيدًا عن تلك الأفكار السوداء التي حطت رحالها في صدورنا.

*****

الفصل الثاني..

يمضي العمر .. ويشتعل الرأس شيبًا وحيرة ومواقفا..

يمضي العمر مسرعًا دون انتظار، دون أن أشعر به. يتقلب بي مرة يُسرًا ومرة عُسرًا. يمضي مسرعًا كريح عابرة تأخذ معها لحظاتي دون أن ألتفت، كأنني في سباقٍ لا نهاية له. يجرف أيامي مثل أوراق خريفية تتساقط دون أن أدرك كم من الوقت مضى. أسير معه في طرقات الحياة، أحاول اللحاق بخطاه السريعة، لكنه لا ينتظر، ولا يمنحني فرصة لالتقاط أنفاسي أو للتأمل فيما عشته وما فاتني.

حتما يمضي العمر.. يأخذ مني الأصدقاء والأحبة، يسرقهم من بين يدي وكأنهم لم يكونوا يومًا جزءًا من حياتي. يحوّل الأحلام الكبيرة التي رسمتها في بداياتي إلى ذكريات بعيدة أخاف أن أنساها. يلعب دور المعلم الصارم الذي لا يلين، ويعلمني أن كل شيء زائل، وأن الوقت لا ينتظر أحدًا.

اعتقدت كثيرًا أن أمامي متسعًا من الوقت لأحقق أحلامي، لأعيش كما أريد، لأبني حياة تتسع لكل ما أتمنى، لكن العمر يفاجئني كل مرة بأيام تمر دون أن أنتبه، وسنوات تطوى دون أن أنجز ما خططت له.

ألوم العمر أحيانًا لأنه لا يعطيني فرصة للعودة، لأنه لا يمنحني ترف التأخير. لكنني أعلم أنه جزء من هذه الرحلة التي أسميها الحياة، حيث الفرح والحزن، النجاح والفشل، الحب والفراق. كلها تنسج معًا قصة وجودنا.

رغم كل هذا، يا أيها العمر، أتمسك بك. أعلم أن في كل يوم جديد تفتح لي بابًا نحو فرصة جديدة. أفهم معك أن جمال الحياة ليس في طولها، بل في اللحظات التي أعيشها بصدق، تلك اللحظات التي تبقى محفورة في قلبي مهما مر من وقت.

تتسارع أيام العمر، وأشتاق لأيام أبت أن تتوقف قليلًا. أيام كانت فيها البساطة تملأ حياتي وتغمر قلبي. كانت فيها الضحكات صافية، والعينان تلمعان بفرح لا يعرف الخوف من الغد. أيام كنت ألتقي فيها مع أحبتي بلا موعد، وأفترق بلا وداع، لأنني كنت أعلم أن الغد يحمل لقاءً جديدًا، دون قلق أو حساب للزمن.

نشتاق لتلك الليالي الطويلة التي كنا نقضيها بالحديث، ننسج أحلامنا، نبني قصورًا في الهواء، نؤمن أن كل شيء ممكن، وأن العالم يفتح ذراعيه لنا. اشتقنا للقلوب الصافية التي لم تكن تعرف الحقد، وللنقاء الذي كان يغمر كل شيء حولنا.

يأبى العمر إلا أن يعلمنا أن الشيب ليس مجرد خصلات بيضاء تظهر على الرأس، بل هو شهادة على رحلاته وتجارب الحياة. هو وقار الزمن الذي يضفي على الإنسان هالة من الحكمة والتأمل. كل شعرة بيضاء تحمل في طياتها قصة، فرحة أو ألم، انتصار أو خيبة.

الشيب توقيع يتركه الزمن على أجسادنا، توقيع يحمله الإنسان بفخر لأنه قد اجتاز العديد من المحطات، وشهادة على الحكمة التي تراكمت على مر السنين. شهادة كانت اختباراتها في مواجهة الأقدار، والرضا بما قسم الله، والشعور بالسلام والعمق الذي وصل إليه الإنسان في فهم نفسه وفهم الحياة من حوله.

كلما أسرع العمر دون أن أحقق إنجازًا ما أو ألحق بشيء ما، تجدني أقول: "فاتني القطار"، وكأن الحياة توقفت عند محطة واحدة. لكن القطارات لا تنتهي، وكل يوم يحمل في طياته رحلة جديدة تنتظرني. ولو كنت قد تأخرت عن إحداها، فإن الأفق مليء بقطارات أخرى، لا أعرف مواعيد فواتها.

أتأمل لحظة الفوت قليلًا، فأجدها فرصة لأرى الطريق بمنظور آخر، لأرتب حقيبتي من جديد، وأعيد التفكير فيما أريد أن آخذ معي في رحلتي القادمة. أحيانًا يكون الانتظار هو خير ما يمكن أن يحدث لي، فهو يمنحني الفرصة لأكون أكثر استعدادًا وأكثر حكمة في اختياراتي.

لـن أدع مقولـة "فـاتني القطـار" تفقـدني الأمـل، ففقـدان الأمـل يشـبه العتمة التي تصيب القلب. تلك العتمة التي قد نشعر بها رغم كل الأنوار التي تحيط بنا من كل جانب. هي تلك اللحظات التي نشعر فيها بالضياع، حتى وإن كنا في أوج حياتنا. تلك الفراغات التي تمتد في أعماق الروح، فتغرقنا في صمتٍ لا يستطيع أحد سماعه.

لم تكن عتمة بعض الأيام مجرد غياب النور من حولي، بل هي غياب الفهم وغياب السكينة.. غياب الشعور بأنني أعرف طريقي.

قد تكون في نظرات فارغة رغم ازدحام الوجوه حولي، وقد تكون في أحاديث طويلة لا أشعر معها بأي معنى، وقد تكون في قلبي المليء بالتردد، والخوف من المجهول، والحنين إلى شيء لا أدركه تمامًا.

العتمة هي تلك الأوقات التي أشعر فيها بالوحدة وأنا بين الناس، حين لا أرى في عيون الآخرين انعكاسًا لما أشعر به، أو حين أخفي ألمًا خلف ابتسامة، وأتظاهر بأن كل شيء على ما يرام بينما الحقيقة تئن في الداخل. هي تلك اللحظات التي أفتقد فيها القوة لأكون صادقًا مع نفسي، وأخشى مواجهة ما يؤلمني حقًا.

ربما تكون العتمة دعوة للتأمل، لأسأل نفسي عن النور الذي أفتقده في داخلي. فقد يكون الحل ليس في البحث عن ضوءٍ خارجي، بل في إشعال شمعة صغيرة من الأمل والإيمان، وفي احتضان ما أشعر به دون خوف.

كثير من الأيام أسهر ليلي فوق ركام قلبٍ كُسر.

إنها حالة قد تصيبني بين الفينة والأخرى، ولأسباب كثيرة. وبما أنها حلّت ولا محالة، قررت أن لا أيأس أبدًا، فقلبي الذي تنبض بالحزن اليوم، هو ذاته الذي كان قويًا في الأمس.

كان قلبي يستعد لبناء جدار من أحلام تناثرت هنا وهناك. سأجمع ما تبعثر من تلك الأحلام، وأبني بها جسرًا جديدًا مُسلحًا بالأمل. وسأهجر مراكب تُبحر بي بأفكار سوداء، ويجب أن أعلم أن هناك شروقًا قادمًا لا محالة. فالليل لن يستمر إلى الأبد، وسيأتي الفجر ليمحو ألم الأمس، ويوقف كل دمعة صامتة.

قد يصاحبني العُسر زمنًا طويلاً، وكأنني أبحر في بحرٍ لا نهاية له، تتقاذفني أمواجه بلا رحمة. تَملكني التعب، وازدادت عليّ الهموم كأثقال لا تُحتَمل.لكن مع كل مرة تقع عيني على الآية الكريمة"إن مع العُسر يُسراً"، أرى نورًا يخترق ظلمتي وكأن سحابة رحمة هطلت على قلبي، لتبعث فيه سكينةً لم أكن أظن أني سأجدها يومًا.

"إن مع العُسر يُسراً" ليست مجرد آية أقرأها، بل هي حياة تتجدد في داخلي، ومفتاح أفتح به أبواب الفرج. مع كل عسر يتعاظم أمامي يتلوه يُسر قريب، يُسر يشبه نسمةً تهب على روحي المُنهكة. فكلما ثقلت عليّ الأحمال وتراكمت الهموم، يكفيني أن أعود إلى هذه الحقيقة الربانية: "إن مع العُسر يُسراً"، فتُهطل سحابة من اللطف، وتمسح عني كل ما ألم بي.

ربما تأتي مع صمت الفجر زخات الأمل كلمسات رقيقة، تنعش الروح وتجدد الحياة. كل قطرة مطر تسقط من السماء تحمل في ثناياها رسالة هادئة، تروي أراضي القلوب التي جفّت تحت شمس الأيام القاسية.

هي زخات تشبه النبض الذي يوقظ الأحلام من سباتها، وهو الضوء الذي يخترق سُحب اليأس ويُذيبها. في كل لحظة صعبة، تأتي لتُذكرنا أن هناك دائمًا بداية جديدة، وأن في كل نهاية تكمن بذور بداية جديدة.

عندما يكتنف الليل الظلام، ويغمرني الشعور بالضياع، تكون زخات الأمل هي الطيف الذي يُشرق في أفق ذاتي، ليملأ قلبي بالثقة والإيمان. هي اللمسة اللطيفة التي تُعيد رسم ألوان الحياة على لوحاتي، وتُذكّرني أن الأوقات الصعبة ليست سوى محطات في طريق طويل نحو غدٍ أجمل.

في كل مرة أنسى فيها نفسي. أركض خلف التفاصيل الصغيرة، وأحمل همومًا لا حصر لها على أكتافي. تجدني أحتاج إلى عزلة ليس لأبتعد عن الناس، بل لأقترب من ذاتي. تلك اللحظات التي أسمع فيها صوت السكون هي التي تعيد ترتيب أفكاري وتجدد نشاط روحي.

العزلة ليست هُروبًا، بل هي استراحة محاربٍ أنهكه السباق، هي وقتٌ للتأمل، للتواصل مع ما بداخلي ومع الكون من حولي. لأرى الأشياء بوضوح أكبر، وأستعيد التوازن الذي أفتقده. أحتاج إلى عزلة، لأجد مَن أنا حقًا بعيدًا عن الضجيج.

بعض الناس قد تغيرهم الظروف. تأخذهم الحياة في منعطفات غير متوقعة، فتنحت فيهم معاني جديدة، وتُعيد تشكيل ملامحهم. حين تهب رياح التجارب على أرواحهم، يكتشفون في داخلهم قُوى لم يعرفوها من قبل، أو ربما تخبو فيهم مشاعر كانوا يظنونها ثابتة.

الظروف تصنع منا ما لا نتوقعه، وتجعل البعض أقوى وأكثر نُضجًا، بينما قد تدفع آخرين إلى زوايا لم يكونوا يتخيلون الوقوف فيها. بعض الناس تتبدل أفكارهم وتتلون مبادئهم تحت ضغط الظروف، والبعض الآخر يزداد ثباتًا وصلابة كالشجرة التي تتجذر أكثر في الأرض رغم العواصف.لكن الحقيقة تبقى أن التغيير ليس دائمًا أمرًا سيئًا. أحيانًا تأتينا الظروف بدروس قاسية، لكنها تصقلنا من جديد وتفتح أمامنا آفاقًا جديدة. وفي أحيان أخرى، قد تُبعدنا عن أنفسنا، لنعود إليها مجددًا بنضج أعمق ووعي أكبر.

كثيرًا ما أنزلق في دوامة الأفكار، وأُحمِّل مَن حولي مسؤولية جراحي، ألقي باللوم على الظروف والأقدار، متناسيًا أن الظلم الأكبر الذي أتعرض له قد يكون من داخلي. عندما أخطئ بحق نفسي، وعندما أنغمس في قرار أعلم أنه سيجلب لي القلق، أو أتهاون في حماية روحي من جروح الكلمات أو الأفعال، أصبح أنا الظالم لنفسي.

أحيانًا، أُخطئ بحق من أحب، ليس بقصد الإيذاء ولكن لغياب الوعي. حين أدرك هذا، أدرك أن جروح الآخرين هي انعكاس لجروحي. فأصبح كالمرآة التي تعكس ألمًا صنعته بيدي.

"وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون" كلمات عظيمة تذكرني بأنني القادر على "إما تصحيح مساري" أو "الاستمرار في ظلم نفسي".

حياتي لا تخلو من الأخطاء، فالخطأ جزء من رحلتي وجزء من تكويني. في كل خطوة أخطئ فيها، أتعلم درسًا جديدًا، وفي كل عثرة أكتشف شيئًا عن نفسي وعن العالم من حولي. الأخطاء ليست سوى محطات في طريق الحياة، تُعلّمنا أن الكمال ليس هو الهدف، بل التقدم والاستمرار.

لقد أدركت أن الأخطاء ليست فشلًا، بل هي محاولات جريئة في البحث عن الحقيقة وعن الطريق الصحيح. أخطائي هي تلك اللحظات التي أختبر فيها الحياة بكل تجاربها، فتكون لكل زلة حكمة، ولكل تعثر دفعة نحو الأفضل.

اعتدت في حياتي أن أرمي خلفي كل الأوراق الباهتة حروفها، تلك التي لا تحمل في طياتها إلا الذكريات الميتة، والأحلام التي ذبلت. لن أدعها تعيق طريقي أو تُثقل كاهلي بماضٍ لم يعد ينفعني سوى في رسم ألوانه على صفحات أغلقتها.

الأوراق الباهتة لا تعكس سوى صورة من زمن مضى أو موقف عبر وانتهى، ولربما تحمل آثار الأحزان والخذلان. لكنها لا تستحق أن تشدني إلى الوراء. سأجعل من كل صفحة فارغة فرصة لكتابة قصة جديدة، وسأنسج حروفًا تعبر عن أحلامي وطموحاتي، ولتجديد العهد مع نفسي.

حياتي تستحق أن تُعاش بكل حيوية وإبداع، وليس بأسى الماضين وقصصهم الباهتة. سأترك تلك الأوراق خلفي، وأبدأ من جديد، حيث الألوان زاهية والآمال كبيرة. سأدع الماضي يذهب بسلام، وأتجه نحو المستقبل بثقة، لربما يحمل لي الكثير من الفرص والتجارب التي تستحق أن تُحيا بكل تفاؤل.

لا أريد أن أكون رهينة للماضي وأحزانه، فلا حياة تُعاش في ظلال الذكريات التي مضت. كل لحظة تمضي تُحملنا عبئًا أو فرحة، لكنها تبقى جزءًا من صفحة انطوت. لن أسمح لتلك الأوجاع القديمة أن تُثقل خطاي، أو تمنعني من المضي نحو المستقبل.

الحزن جزءٌ من التجربة، لكنه ليس كل شيء. الماضي يحمل في طياته دروسًا، لكنه لا يجب أن يكون سجنًا أعيش فيه. أختار أن أتحرر من قيود الذكريات، أن أعيش الحاضر بكل ما فيه، وأن أواجه المستقبل بنظرة مليئة بالأمل والتفاؤل.

لا أريد أن أكون أسيرًا للآلام التي عشتها، لأنها كانت مجرد محطات على الطريق. الطريق ما زال طويلًا، وأمامي الكثير لأتعلمه. سأنهض من بين الرماد، وأبني من جديد، لأن الحياة تستحق أن تُعاش بكل شجاعة وقوة، بعيدًا عن ظلال الماضي.

لا يُعيبني انتقاد أي شخص لي، لأنني أعلم جيدًا من أكون، وما أحمله في قلبي وعقلي. كلمات الانتقاد قد تكون رياحًا عابرة تحاول أن تهزني، لكنها لا تملك القوة لتغيير مساري. فأنا ثابت، لا أتأرجح أمام أصابع النقد التي تشير إليّ.

لا يُعيبني انتقاد الآخرين، لأنني أعيش لأُرضي ضميري وأحقق أهدافي، لا لأكون في إطار ما يتوقعونه أو يفرضونه عليّ. قد يسعون لتغيير رؤيتي أو إيقاعي، لكنني أدرك أن الطريق الذي اخترته هو طريقي وحدي، وأعرف جيدًا كيف أسير فيه. لذا، جعلت من انتقادهم وقودًا يدفعني للأمام، وليس قيدًا يكبلني.

جُبتُ كثيرًا من الكتب باحثًا عن إجابات لأسئلة عديدة، ولمواقف كثيرة. بعضها وجدت لها إجابات، فغضضت النظر عنها. وتوقفت عند تلك التي لا أجوبة لها.

لماذا يخون الإنسان من أحبه بصدق، ومسح دموعه برفق؟ ولماذا يبيع من اشتراه دون رحمة؟ لماذا نهتم بشخص بعد أن يموت، علمًا بأنه كان يعيش بيننا ولم نعطه أي شيء من ذلك الاهتمام الذي يأتي بعد وفاته؟ قد يموت الإنسان ألمًا وفقرًا وجوعًا، وفي جنازته تقطع المسافات البعيدة، وتذبح الخراف السمينة، وتقام الولائم الكبيرة. نبدأ نبحث عن صورة نستذكره بها، لقد كان هنا، مر من هنا. لم نهتم بشكله، ولا بمواهبه، ولا بمحتواه الفكري. ولا احتفظنا بأي اختزال من صوته.

لماذا نجمع المال لمساعدة غني قد تعرض لوعكة خسرته أمواله فجأة، وننسى أن هناك غيره اتخذ من سلال القمامة، أو السرقة، أو الاحتيال أسلوبًا يعتاش منه وعائلته، علمًا بأننا قادرون أيضًا على جمع المال للفقير ليصنع شيئًا يعتاش منه؟ نترك الفقير هامدًا، وندعم الغني ليبقى صامدًا. لا أدري ما أسمي هذا الحال. أهو نفاق؟ أهو خوف من أن يصبح الفقير أو المعثر بحال جيدة؟

أتساءل عن أسباب إهمالنا للطيبة قلوبهم، للذين نجدهم في كل موقف من أول الحاضرين، ليسوا من الحاضرين بأجسادهم فقط، بل حاضرين بمشاعرهم، وبمبادئهم، وبإنتمائهم لمن حولهم.

أتساءل كيف نترك طفلًا فقيرًا يبكي على لعبة عيد، أو رحلة مدرسية، أو قطعة حلوى، ونهدي الأغنياء أغلى أنواع العطور، وندعوهم على ولائم فخمة في أرقى المطاعم. نمسح على أكتاف ابن الغني بكل رفق وإنسانية، ونتجاهل ذلك البكاء الذي قد يكون إسكات صوته بقليل مما ننفق على النزوات، عوضًا عن خسائر كبيرة.

لماذا نقف بصف الغريب دون أن يُنادينا، ونتجاهل قريبًا أو أخًا لا يفصل بيننا وبينه سوى جدار رقيق من الطوب المتهالك؟ لماذا نعتبر الغريب طائر سلام، والقريب عقربًا لادغ؟ لماذا نمنح الغريب فرصة للتعبير عن ما بداخله، ونسخر من طموح القريب وأحلامه؟

لماذا يغير بعضنا طريقه إذ يمر بها قريب له، ولماذا نتجاهل رسائل القريب ونهتم برسائل الغريب. أهو خوف من خسارة الغريب أم خوف من تعزيز علاقتنا مع القريب.. من زرع ببالنا أفكارًا تبعدنا عن القريب؟

قد يكون القريب سيئًا في بعض اللحظات، ولكنه قد يكون السند والفزعة الحقيقية عند العثرات وعند اللائذات. لكن يبقى الألم كبيرًا إذا رأى الإنسان معاملة قريب له مع الغريب بأرقى المراتب، ومعاملته معه في أبشع الصور، وهي مواقف كفيلة بأن يبتعد البعض منا عن قريبه ولو كان من أرحامه ومن أهل بيته وممن يحُسبون عليه بحكم إجتماعيات الحياة.

لماذا نتمسك بمن يَمنن علينا ويستكبر. بمن يغض الطرف عن حاجتنا له في موقف ما؟ لماذا نرى من كل متكبر شخصية مهمة ولها وزن كبير، وقد يكون فارغًا من الداخل؟ لماذا نحارب بعضنا البعض على نجاحاتنا، وقد نحد من تقدم أحد يحيط بنا، نزرع فيه الإحباط، ونحاول أن نجعله في حالة تشتت لنصنع منه إنسانًا تائهًا حائرًا.

لماذا يُريد بعضنا أن يصبح إبنه في أعلى المراتب ومن أعلى الناس علمًا ونصيبًا؟ ونريد لأبناء الآخرين التعاسة وقلة الفرص ونتمنى له العثرة في كل طريق يسلكها؟

أنا لست متكبراً على أحد.. لكني أحب تلك الأماكن التي أجدها سكينة وأمانا، أماكن تستحق خُطواتي.. تستحق حضوري. ليست كل المساحات تتسع روحي. كثير من الأماكن لا تحمل من دفء الحلم شيئا، ولا تملك من صدى الأمان ما يربطني بها .

الزوايا التي لا تليق بي.. هي تلك التي أشعر فيها بالغربة بين تفاصيلها وإن كانت مزدحمة بالوجوه والكلمات. ليس كل مكان يليق بي.. لأنني أبحث عن موطنٍ يحتضن شخصيتي وأحلامي كما هي.. دون محاولات لتغيير ملامحها أو اختزالها.

أبحث عن مكانٍ تتنفس فيه روحي بحرية. حيث يمكن لأفكاري أن تحلق بلا قيود. وأجد نفسي في انعكاس المكان كما أنا دون تجميل أو تزييف.. دون أقنعة أو حواجز، لذا أختار مكاني بعناية، وأعلم أن مكاني ليس حيث يتواجد الجميع، بل حيث تنتمي روحي وتنمو. هنا يجب أن أكون.

لقد تعلمت من ألمي أن أكون أكثر صلابة في مواجهة التحديات وأعمق في فهم نفسي وحياتي.

في لحظـات الألـم..اكتشـفت أننـي أملـك قـدرة علـى التحمـل لـم أكـن أدركها، وأن المعاناة يمكن أن تكون مُعلمًا عظيمًا.

علمتني الجراح كيف أكون صبورًا، وكيف أستفيد من كل تجربة مؤلمة لأصبح نسخة أفضل من نفسي. لقد تعلمت أن الأوجاع ليست مجرد محطات ضعف، بل هي أيضًا فرصة للتجديد والنمو.. من خلالها اكتسبت دروسًا في القوة والعزيمة واكتشفت أن كل ألم يحمل بداخله بذور القوة والإصرار.

ألمي كان دليلي إلى الذات الحقيقية.. إلى الشخص الذي يمكنه تجاوز الصِعاب واكتشاف جوانب جديدة من حياته. لذلك تعلمت من ألمي أن أكون أكثر تماسكًا وإصرارًا، وأن أرى في كل تجربة مهما كانت قاسية فرصة للتعلم والارتقاء.

*****

ياعزيزي..

عندما يتحدثون بسوءٍ عني أمامك، لا تخبرني.

فأنا لا يعنيني ما قالوه عني، ولا كيف قالوه، ولا لماذا أو أين. فالكلمات الطائشة تذروها الرياح. لكن ما يثير تساؤلي هو: لماذا شعروا بالراحة في حضورك؟ ما الذي جعلهم يظنون أن آذانك ستستقبل حديثهم عني بسهولة، وأنك ستكون شاهدًا صامتًا أو مشاركًا في السرد؟

إن الأحاديث التي تنطلق في الغياب ليست مجرد كلمات؛ إنها اختبار لمواقفنا.. لمبادئنا.. ولولائنا تجاه من لا يستطيع الدفاع عن نفسه. فالصمت في بعض اللحظات هو قرار، والقرار يكشف الكثير.

لذا.. سأعيش بعيدًا عن كل روايات الآخرين. عن تلك المشبعة بالزور والبهتان، والتي تتلاعب بالحقيقة وتستبدلها بفسيفساء من الأباطيل. سأبتعد عن كل الحكايات التي لم تكن يومًا حقيقية. عن تلك الروايات التي صاغوها بألسنة ملوّثة بالكذب والخداع. مللت من سماع القصص المُزيّفة، التي يحاولون فيها رسم صورة لا تشبهني.

أختار أن أعيش بعيدًا عن كثير من الناس، بعيدًا عن ضجيج الأكاذيب والتشويه، حيث الصمت أصدق من كلماتهم، والواقع أنقى من زيف رواياتهم. لن أسمح لهم أن يُشكّلوني وفق أهوائهم، فالحقيقة التي أعيشها أكبر وأقوى من بهتانهم. سأكون أنا، بكل ما فيَّ من صدق، وسأتركهم خلفي غارقين في أوهامهم.

لقد كنت مستمعًا للكثيرين، أصغي إلى حكاياتهم بشغف، ألتقط من بين كلماتهم مشاعر دفينة وأحلامًا ضائعة. يتحدثون وأنا أجمع من أصواتهم نبضات الحياة التي عاشوها، لحظات الفرح التي غمرتهم، ودموع الحزن التي اختبأت بين جملهم.

كنت مستمعًا ليس لمجرد أنني كنت أريد الاستماع. بل لأنني أدركت أن في الإستماع حكمة. كنت أرى كيف يخف الألم عندما يجدوني أنصت إليهم، وكيف تضيء عيونهم بلمعة الأمل عندما يشعرون أن هناك من يفهمهم .

استمعت لهم حين تكلموا عن الحب، وعن الفراق والألم. عن الأماني التي لم تتحقق. عن الطرق التي سلكوها ولم توصلهم إلى حيث تمنوا. كنت أستمع إلى صدى أرواحهم التي تبحث عن مأوى، وعن قلوبهم التي تنتظر دفئًا قد يأتي أو لا يأتي. وفي كل حكاية كنت أشعر بشيءٍ مني يُضاف إليهم.

يؤلمني ذلك الخذلان الذي جاء من أعز الناس وأقربهم، الذي جاء من القلوب التي ظننتها مأمنًا، من أولئك الذين شاركتهم أدق تفاصيل حياتي، الذين عرفوا نقاط ضعفي وقوتي. كنت أظن أن القرب يعني الأمان، وأن الحب يعني الوفاء.

الخذلان الذي يأتي من الأحبة ليس مجرد خيبة أمل، بل هو انكسار داخلي لا يُرى، لكنه يترك نُدوبًا عميقة. يؤلمني لأنني أعطيتهم أكثر مما كنت أملك، وثَقْتهُم بقلبي وهم بدورهم قد أهملوه. لكن مع كل ألم يأتي درس كبير. تعلمت أنني سأكون أقوى، وأن الثقة ليست هبة تُعطى بسهولة. بل هي أمانة غالية لا تُمنح إلا لمن يستحق.

لكنني استنتجت من كل ما تعرضت له في حياتي، أنني أنا من أخطأت بحق نفسي، وأنا من ذهبت بنفسي إلى كل من خذلوني. لم يأتوني من طوع أنفسهم. أنا من اخترت صديقي، وأنا من اخترت مواقفي، وأنا من قبلت بكل ما وضعت نفسي فيه من ألم وخذلان وإحراج. لم أذكر أن أحدًا جاءني يومًا وقال لي: "أريد أن أخذلك" أو "أريد أن أكسر شيئًا في قلبك". أنا من ذهبت إليهم، وعلي أن أتحمل النتيجة سواء كانت من قريب أو من صديق.

قد تخونني ذاكرتي في لحظاتٍ تبدو فيها الحقيقة خجولةً، تتهرّب بين ثنايا الزمان. أنسى الأسماء، والأحداث، وربما الوجوه التي عبرت حياتي مرةً... لكنني لا أنسى المشاعر.. المشاعر تسكنني.. ترافقني كظلٍّ لا ينفكّ يتبعني.. لا تذبل ولا تغيب.

قد تخونني ذاكرتي حين أبحث عن تفاصيل يومٍ مضى، لكن لن يخونني القلب حين يسترجع دفء لحظةٍ كانت كل الدنيا، أو صوت ضحكة غابت، أو عينين نظرتا إليّ يومًا بحُبٍ لا ينسى.

قد تخونني ذاكرتي في تلك اللحظات التي أبحث فيها عن ماضٍ بعيد، تفاصيله ضبابية تتلاشى شيئًا فشيئًا. قد تتركني وحيدًا أمام بحرٍ من التساؤلات، تائهًا بين ما كان وما أظن أنه كان .

قد تخونني ذاكرتي حين أحاول استعادة صورة وجهٍ أحببته، أو صوتٍ عزيزٍ قد تلاشى في طيّات الزمن.. لكن الأثر الذي تركوه، والحب الذي زرعوه في أعماقي لا يخونني أبدًا. يبقى خالدًا حاضرًا في كل نبضة قلب وفي كل لحظة أملٍ تستدعيهم من غياهب النسيان .

سئمت الخلافات الصغيرة.. تلك التي تنمو كالبذور في تربة علاقاتنا. تكبُر بلا قصد، وتقتات على لحظات السعادة. تنشب وكأنها سحابة صيف تمر دون أن تترك أثرًا، بل تسرق في كل مرة لحظة سلام، وتضيف حجراً آخر لجدار المسافات. خلافات لا تساوي شيئًا في ميزان الأيام، لكنها تسرق البسمة، وتغطي على دفء القلوب.

سئمت من تلك التفاصيل التي أعلم أنها لا تستحق.. لكنها تقتحم أحاديثنا وتُلقي بظلها على كل ما هو جميل.. تصبح الكلمة البسيطة شرارة، والفكرة العابرة حَطبًا لمشاجرة بلا معنى.. تتكرر وتكبر في عقولنا حتى تفقد قيمتها الحقيقية.

أنا أقوى من أن أتعثر بتلك التفاصيل.. أقوى من أن أقف عند كل هفوة أو كلمة عابرة.. فسأترك ورائي كل ما يعكر صفاء أيامي، وأمضي نحو ما هو أهم: الحب الصادق والإحترام وتلك اللحظات الجميلة التي تستحق أن أعيشها دون شوائب.

الحياة أقصر من أن نقضيها في ملاحقة التفاصيل الصغيرة، ونحن أكبر من أن نسمح لها بأن تتحكم في مسار أي علاقة من علاقاتنا. فلنُعد النظر. لنتوقف للحظة، ولنسأل أنفسنا: هل يستحق الأمر كل هذا؟

عندما أمنح البعض صبرًا، فأنا لا أقدم لهم شيئًا عابرًا، بل أمنحهم جزءًا من ذاتي. من قوة روحي وثبات قلبي، لأني أؤمن أن ما بيننا يستحق الانتظار.

الصبر ليس هبةً دائمة ولا حقٌ مكتسب، بل هو خيطٍ رفيع يتماسك بالحب والتقدير، ويضعف بالإهمال واللامبالاة. هو ثقة تتطلب تقديرًا عميقًا، وأن يدرك مَن حولي أنني أضعه أمام اختبارٍ مع نفسي، أمام فرصة لا تتكرر، فرصة أنتظر فيها أن يدرك قيمتي في حياته. لأنني حين أقرر أنني قد أعطيت بما يكفي.. لن أعود.

قد تكون الكلمات ثقيلة على اللسان، والأحاسيس غارقة في صمتها. فكم من مشاعر تئن في أعماقنا، تبحث عن منفذ لتنساب عبر اللسان، لكنها تقف على أبواب الحيرة والخوف. تلك اللحظات التي أريد فيها البوح بكل شيء، لكن ثقل الكلمات يعيدني إلى الداخل، حيث تختبئ الجروح خلف ضباب الصمت.

ليست كل الأحاسيس قابلة للترجمة إلى كلمات. بعضها يُترجم بنظرة عابرة. بدمعة تخفيها الأجفان، أو بنبضة قلب تختنق بين الضلوع. فالكلمات قد تكون جسراً، لكنها أحياناً لا تحمل سوى ظل ما في داخلنا.

هنـاك مشـاعر لا تُقـال وإنمـا تُحـسّ وتبقـى حبيسـة الصـدور. تـدور حـول نفسـها باحثـة عـن طريـقٍ للخـروج. لكنهـا تتعثـر بثقـل الصـمت والخـوف مـن البـوح. حينهـا أجـد أن الكلمـات خائنـة عاجزة عن احتواء عمق ما نشعر به.

كيـف للكلمـات أن تـترجم نبضـات القلـب الموجوعـة؟ كيـف لهـا أن تنقـل ارتجـاف الـروح الـذي لا تـراه العيـون؟ إن المشـاعر بكـل تناقضـاتها وانكسـاراتها أكـبر مـن أن تُقـاس بعبـارات، وأوسـع مـن أن تحتويهـا جمـل بسـيطة. إنهـا مـا بـين السـطور. في النظـرات المبتَسَـرَة. في تنهـدات الليـل الطويـل، وفي لحظـات الصـمت التـي تحمل في طياتها ألف كلمة وألف آه.

قـد أنتظـر طـويلاً حتـى أجـد الشـجاعة لأحمـل بعـض الأحاسـيس الثقيلـة، وأضـعها علـى الـورق أو أنطـق بهـا، لكـن يبقـى هنـاك خـوف دفين بأن الكلمات لن تكون كافية.

أخشى أن أفقد في اللحظة التي أبوح فيها تلك القوة التي تمنحني إياها مشاعري حين أحتفظ بها لنفسي. مع ذلك تظل الرغبة في التحرر منها تزداد حتى وإن كان البوح مجرد وسيلة لأخفف من ثقل الحمل الذي يرزح تحت وطأته القلب.

هزمني الكثيرون بعد ثقة أعطيتهم فيها قلبي دون تردد. وأسكنت فيهم أحلامي بثقة عمياء. كنت أظن أن بيني وبينهم عهدًا لا يُكسر. وأن الأيام مهما قست لن تهز ما بنيته وإياهم . لكن فجأة جاء الخذلان من حيث لا أحتسب. لم تكن المعركة بيني وبينهم عادلة، إذ كنت أقاتل بحبٍ وإخلاص، بينما كانوا يعدوا لي هزيمتي بصمت.

هَزَموني. لكن ليس بقوتهم، بل بخيانة الثقة التي لم أكن أظنها يومًا هشّة. لقد كسروا في داخلي شيئًا لا أظن أنه سيُصلح بسهولة. لم تكن الهزيمة في خسارتي لهم، بل في خسارتي لنفسي عندما وثقت بهم.

أشعر احيانًا أن العالم مزدحم. وكل شيءٍ حولي مزدحم. حتى رأسي يبدو مزدحما. نعم مزدحم. تفكير. تشابك أفكار. ضجيج بأنواع مختلفة.

ضجيج واضح وضجيج صامت. وهو الذي يمكن أن يكون أقوى نوع ضجيج داخلي. يأس بسبب عجز.. وعجز بسبب قلة حيلة أو عجز بسبب بابٍ حاولت فتحه مرارًا ولم أجد مفتاتيحًا له رغم أن هذه المفاتيح أمامي.

لكن كل مفتاح يحمل حجة ليبقى الباب مُغلقًا. أو ربما انتهت صلاحية بعض الأشياء بيني وبين هذا المفتاح. ربما لم أكن أعني هذا المفتاح شيئًا وربما يكون هذا المفتاح صلبًا وقاسيًا لدرجة أنه لا يمكن أن يلين حتى وإن رأى أني بردت أو تعبت من الوقوف أمام الباب. أو لأني واحد من كثيرين يقفون على أعتاب هذه الأبواب.

كنت راضيًا بكل ما يصيبني من أذى ممن حولي، ممن يغضون الطرف عن شخصيتي وما أحمل بداخلها من فكر وعلم وصفاء. وأرى من ذلك الرضا جزءًا من سعادتي؛ لأن الشجرة التي تُرمى بالحجارة هي شجرة مثمرة بالطبع، أما الشجرة غير المثمرة، فنرى الجميع يترددون إليها ليستخدموا ظلها ليقوا أنفسهم من حر الشمس، ويستخدموا حطبها ليدفئوا به من برد الشتاء.

عندما أقبل بما لدي وأحتفي بما أنعم الله به علي، أكتشف أن الحياة أصبحت أكثر بهجة وسلامًا. الرضا ليس مجرد قبول للأشياء والمواقف كما هي. بل هو فن العيش بسلام مع ما أملك والتقدير لكل لحظة أعيشها.

رأيت في الرضا والقناعة تحرر من قيود القلق والمقارنات، و فرصة للاستمتاع بتفاصيل الحياة، و قوة في المواجهة والقدرة على تحويل الصعوبات إلى فرص.

أغفر وأعفو وأسامح، ليس لأنني غافل عمّا كان، بل لأنني أحترم تلك المسافة التي كبرت بيني وبين الآخرين. مسافة صنعتها الأيام وهدمتها الأيام أيضًا، فيصبح البُعد بهدوء أصفى من أي حضور مشوّه.

أسامح لأنني أعلم أن القلوب التي تتعالى على الجراح، هي القلوب التي تعي معنى السلام. أغفر لأن الحياة قصيرة، ولا تستحق أن نثقلها بالندم. أعفو لأنني أؤمن بأن الصَفح هو جزء من قوة الروح.

ما أجمل تلك الردود التي تأتي في وقتها، بصدقها وحرارتها، لا تلك التي تأتي بعد أن خَفُتَ شوق السؤال، أو التي تحمل أعذارا باهتة لاتداوي جراح الانتظار. ففي كل مرة تأخر الرد، تموت فينا رغبة وينطفأ فينا شيئًا. يصبح الفراغ هو الجواب، وما أتى بعد صمت طويل يأتي مثقلًا بالندم أو الأعذار، لكنها تصل وقد زال الاهتمام.

ليس بعد الإهمال إلا إهمال، وكل محاولات التقرب و إصلاح ما انكسر لن تعيد ما مضى. قد يحاول البعض أن يعود ليمسك بخيوط الأمل ساعيًا للتقرب من جديد، باحثًا عن بصيص من الحب أو استعادة الدفء الذي غاب. لكني أثق تمامًا أن الإهمال يزرع في القلوب شروخًا عميقة لا تلتئم بسهولة.

لماذا تغيرنا؟ وأصبحت نفوسنا غريبة، ليست تلك التي وُلدت معنا. أصبحت لا تعاتب أحدًا، ولا تفتقد أحدًا، ولا تلوم أحدًا. أصبحت منعزلة كأنها خُلقت في صحراء لا حياة فيها. لماذا تغيرنا بعد أن كنا نعشق نسيم الصباح، وننتظر أحاديث المساء؟ لماذا تغيرنا بعد أن كنا نصدق الأحلام كأنها حقيقة، بعد أن كنا نبتسم للغد؟

كنا نعانق بشوق، نسامح بسهولة، نعيش اللحظة دون حسابات معقدة، أصبحنا نبتعد ونحن في أمس الحاجة للقرب، نُخفي وجوهنا خلف أقنعة من اللامبالاة. أصبحت مشاعرنا مشوبة بالحذر، والفرح مؤجلًا حتى إشعار آخر.

أصبحنا نراقب الكلمات، نزن المشاعر، نخشى أن نحب، نخشى أن نقترب، وكأن كل خطوة نحو الآخر تهدد بانكسار جديد. أصبحنا نبحث عن الأمان في البعد، عن الراحة في الصمت، كأن كل خطوة نحو الآخر تحملنا عبئًا جديدًا، وكأن كل كلمة تحمل خلفها خوفًا من خيبة أخرى. لماذا تغيرنا؟

قد نكابر، وقد نبالغ في المكابرة على كثير من الأشياء. نرفض أن نُشعر أنفسنا أو غيرنا بالندم على موقف ما، لكننا في الحقيقة نندم، ولو دون أن نُشعر أحدًا. نندم خفية بيننا وبين أنفسنا، لكن يبقى حاجز كبير في دواخلنا يمنعنا من الاعتراف بالندم. في الواقع، نندم عندما ندرك قيمة الأشياء بعد أن نفقدها، وعندما تتلاشى الفرص بين أصابعنا كالرمال، تاركة خلفها الرغبة في لمسها مرة أخرى.

نندم حين يتسلل السؤال إلى أعماقنا: هل كنا كافين في التقدير والاستفادة من كل لحظة؟ وقد يكون الندم صوتًا هادئًا يُنبهنا إلى أهمية العناية بالعلاقات وتقدير الوقت.

نندم عندما ندرك أننا قد فاتتنا الفرصة لقول "أحبك" أو "أهتم بك".

تتسارع قلوبنا بحنينٍ يُعلمُنا أن الكلمات قد تكون أثقل وزنًا من الصمت.

قد يكون الندم مرافقًا طبيعيًا في رحلتنا، ولكن يمكننا تحويله إلى درس يعلمنا أن نحترم اللحظات، ونمنح قلوبنا وأرواحنا حقها في التأمل والاستمتاع. قد يكون الندم نافذة تُطل على الماضي، لكن الحكمة تكمن في استخدامها لتشكيل مستقبل يعكس فيه التغيير.

الفصل الثالث ..

لكل منا أسلوبه وشخصيته.. أنا وأنت بينهم

كهوية ثابتة لا تتغير مهما تقدم بها العمر..

لكل منا أسلوبه الخاص في حياته، طريقة لبسه واختياره لطعامه، وتنظيم وقته حسبما يشاء. تجد منا من يحب أن يكون مُنعزلًا دون أصدقاء، وغالبًا ما يكون اختلاطه بأبناء جيله وبأفراد عائلته وبزملائه قليلًا. هو اعتاد على أسلوب يجلب له الراحة؛ فهو ليس بغبي، بل يجد في العزلة شيئًا لا نراه نحن.

منا من يحب أن يبقى على تواصل مع من حوله، لا يحب أن يبقى لوحده. حتى في عمله، تجده يتنقل بين زملائه من هُنا إلى هُناك، وكل همه ألا يبقى وحيدًا. يتمسك بأي أحد يستمع له، لايشعر بالوقت إلا إن جالس نفسه.

منا الصامتون، أو بمعنى أصح هم قليلو الكلام، لا يتحدثون كثيرًا، وفي الغالب تجدهم يستمعون أكثر مما ينطقون. وإذا نطق، فإنه يختار الوقت المناسب. لديه سيطرة كبيرة على مشاعره وعلى ردود أفعاله، يتدخل حينما يجد أن الموقف يستحق التدخل، ويتجاهل الكثير من المواقف التي لاتستحق. يبقى قريبًا من كل شيء، لكنه يبقى صامتًا أكثر.

منا أشخاص أنانيون، لا يحبون غير أنفسهم حتى وإن كان أعز إنسان عليهم. يبقى مُهتمًا بأدق التفاصيل التي تُسعده، حتى وإن كانت على حساب غيره، غير مُكترث إلا بتحقيق رغباته. قد يطلب منك أن تحمله في مشوار لمئة كيلومتر مقابل قضاء حاجته، وهو غير مستعد لمناولتك حبة بنادول على بعد نصف متر من يده. وحين لا تكون له أي مصلحة لديك، فإنه لا يكترث لأمرك، وإن كان له مصلحة عندك، يحاول أن يحصل عليها دون خسارة أي شيء، ويتجنب إضاعة أي ثانية من وقته في سبيلك.

نـوع جميـل يتميـز بالصـبر والحكمـة، بالرّويّـة والهـدوء... هـو الشـخص الـذي تربـى في بيتـه علـى يـد حكـيم، ممـا جعلـه إنسـانًا يتعامـل مـع كـل المواقـف بأسـلوب خـاص. كـل موقـف تجـد لـه أسـلوبًا مميـزًا، وهـو علـى قناعـة كبيـرة بـأن ردود الأفعـال لا تتشـابه في كـل المواقـف. لديـه حـدس كبيـر ووعـي عميـق في التعامـل مـع مَـن حولـه والتـدخل في شـؤونهم، ويبقـى قريبًا من قلوب الجميع بأسلوبه الذي جعله مميزًا بيننا.

بعضـنا لديـه أسـلوب يسـتفز الجميـع؛ لا يـزن الكـلام قبـل أن ينطـق بـه، ويتـدخل دون إذن. لا يُفسـح المجـال لغيـره في الحـديث في أي مكـان يحـل بـه، ويشـعرك بأنـه خبيـر في كـل الشـؤون، صـغيرة كانـت أم كبيـرة. ينصـح دون معرفـة أو خـبرة، وكـل همـه أن يتحـدث حتـى لـو اخـترع قصصًـا يغـذي بهـا الحـوار. لـيس مسـتعدًا لأن يعـترف بـأن مـا تقولـه صـحيح، ويغضـب إن قاطعتـه، بينمـا يُقاطعـك ويُقـاطع أي متحـدث بينكم. يُقنـع نفسـه بـأن حديثـه صـحيح، وكلامـه منطقـي، وتدخلـه العاجـل، حتـى وإن قـاطعكم أكثـر مـن مرة، هو الأسلوب الأمثل للسيطرة على الحوار.

أصعب أنواع الأشخاص... هو الذي يتعامل مع من حوله على أنهم لا يفقهون شيئًا، وأنه الأذكى والأسرعُ ملاحظة. تجده تارة يستمع لك فقط ليُعارضك، وتارة يتعامل مع الجميع على أنهم أغبياء. وفي الحقيقة ليس لديه أي قدرة على حل أبسط المسائل. غالبًا يُشعرُ من حوله بأنه مُتكبر، وأن كثيرًا من الناس ليسوا بمستواه العلمي أو العملي أو حتى الأخلاقي. يعتقد أن الجميع يجب أن يعمل على إرضائه أو استحسان شخصيته، وغالبًا ما يُحب أن يمدحه الناس في حضوره و غيابه. وأكثر ما يُفضله هو أن تبقى الناس تتحدث عنه باستمرار.

الشخص الذي يخاف من كل شيء... تجده يخاف من العطاء، ومن اتخاذ أي قرار في حياته. يجوب بين أصدقائه ومعارفه طلبًا للاستشارة في موضوع بسيط لا يستحق أكثر من دقيقتين من التفكير، لكنه اعتاد قبل أن يتخذ أي قرار أن يستقي المعلومات الهامة وغير الهامة من كل من حوله. اتخاذ القرار بالنسبة له من كبرى المعضلات في حياته. أحيانًا تصفُه بالجبان، وأحيانًا بالمتردد، وأحيانًا قد تملّه وتهجره طوعًا لأنه أتعبك.

"دعها لما بعد"... هو الشخص الذي يؤجل كل أعماله، الكبيرة والصغيرة، الضرورية وغير الضرورية. كُلها عنده مُؤجلة لما بعد. هو الشخص المُتعِب، لا يترك واجباته ومهامه للغد فقط، بل يحاول التأثير على من حوله. لمجرد أن تخبره بما تريد أن تفعله، سيقول لك: "أمامك متسع من الوقت، لما العجلة؟". هو من اعتاد على تأجيل عمل اليوم للغد، وتجده الأقل مرتبة بين جماعته دائمًا.

لا يُحب ما تُحب أو من تُحب... هو شخص لا يرى في آراء غيره أي صحة، ويشعرك بأن جميع من تعرفهم ليسوا جيدين. يجعلك تشعر بأنك مُخطئ في كل ما تحب. لديه أسلوب يُخبرك من خلاله أنك دائمًا على خطأ، وأنه يمتلك المعرفة الكافية بالأشخاص والتفاصيل. قد يوهمك بأنه لا يحب فلانًا وفلانًا، وهو في الواقع يتمنى لو يصبحون أصدقائه. شخصية غريبة، يرى في كل من حوله أنهم سيئوا الاختيار في كل شيء.

يسلب طاقتك ليتقدم عليك. هو شخص يحاول أن يكون متقدمًا عن غيره، وهذا شيء جميل، ولكن بأسلوبه قد يمكر بك. يحاول إحباطك وإقناعك بأن كل ما تطمح إليه أصبح قديمًا، وربما لن ينفعك الآن.

يُحاول دائمًا أن يُخفي كل شيء عن الآخرين، لكنه يمتلك أسلوبًا غريبًا يُحاول من خلاله أن يعرف كل شيء في داخلك، أو ما تخطط له أو تنوي فعله غدًا. يعتبر نفسه المُتقدم عليك بالخبرة والعلم والفكرة، وكلما تُخبره بشيء، قال لك: "لقد مررت به"، ويحاول إيهامك بالسلبيات لهذا الشيء، علمًا بأنه لم يجربه من قبل. لكنه يُريد انتحال صفة الناصح الأمين في سبيل كسر جناحك وإيقاف تقدمك بأي خطوة عنه.

الضحوك دائمًا. شخص يضحك لكل موقف ترويه له، حتى وإن لم يفهم أجزاء منه. يُحاول دائمًا أن يُشعرك بأنه معك ويُصغي لك بشكل تام. هو شخص لا يجرؤ على جرح أحد أو كسر خاطر أحد. تراه تارة يندفع بالضحك إن شعر أنك تخبره بطرفة ما، ويحزن إن رأى أن ما ترويه عليه قصة مؤثرة. يشعر ويستشعر، يستمع ولا يقاطع، يركز ويُمعن النظر في وجهك وأنت تُحدثه. هو سريع التأثر بمن حوله، وهو الذي يكون قلبه من أكثر القلوب غرقًا بالألم الذي لا نعلم عنه شيئًا. يضحك من كثرة همومه التي لا نعلم عنها شيئًا، ليبقى بينك وبينه، وبين نفسه الشخص القوي الذي لا يجد في الشكوى أي فائدة.

يُقدم كل ما بوسعه لإرضاء غيره، حتى وإن كان لا يعرفه. هو شخص لطيف، طيبته عفوية زُرعت فيه منذ أن خُلق. يرى أن الجميع يستحق مدّ يده، يثق بسرعة، يُخلص ولا يعرف الغدر، لا يعرف قول "لا". يرتبك إن طلب أحد منه شيئًا لا يقدر عليه، ويُحاول تقديم كل ما لديه في سبيل ألا يرى أحدًا يحتاج شيئًا. يأمل بأن يكون الجميع بخير، ولا يعرف قلبه الحقد أو الأنانية. يضحك للجميع، لا يُفرق بين صغير أو كبير، يحاول دائمًا أن يكون قريبًا من الجميع، لأنه يُحب الجميع.

يُناقض نفسه ومن حوله. شخص متردد، كل دقيقة برأي وقرار مُختلف. اليوم يُحدثك بشيء، وغدًا يُحدثك بعكسه أو ينفي صحته. تراه يتنقل بكثرة ولا يُعجبه مكان، يشتهي أطعمة وعندما ينالها لا يتناولها، ويقول: "لو أنني اخترت كذا وكذا بدلًا منه لكان أطيب". يستغرق وقتًا طويلًا في اختيار ملابسه، ويدخل في حيرة بكل شيء. تراه دائمًا مُتعبًا ويُتعبُ من حوله ويمتص كل طاقاتهم بالانتظار والتقلب والتذمر.

تجـده في كـل الأوقـات إلا عنـدما تحتاجـه، يختفـي شـيئًا فشـيئًا، ينشـغل فجأة بظرف خـارج عـن سيطرته، وعنـدما يعـرف أنـك انتهيـت مـن ظرفـك، يـأتي محمـلًا بأعـذاره التـي لـم تعـد تهمـك. كـان معـك في كـل وقـت يريـده وحسـبما يشـاء. هـو لـيس ضـدك، ولا يرغـب بالرحيـل عنـك، لكنـه عـاجز عـن أن يكـون معـك في أشـد الأوقـات قسـوة. تصـفه أحيانًـا بالأنـاني، وأحيانًـا أخرى بالكسول، وأحيانًا بالمزاجي.

يبحـث عـن مـبررات لكـل مواقفـه دون أن يُطلـب منـه. يخشـى خسـارة مـن حولـه، ويخشـى أن يُفهـم خطـأ. يتجنـب كـل مـا يُغضـب النـاس، هـادئ بطباعـه، يـأتي علـى نفسـه كثيـرًا، يُفكـر بمشـاعر النـاس قبـل مشـاعره، وأحيانًـا تكـون نفسـه مـن آخـر اهتماماتـه. يُلبـي كـل دعـوة مـن غيـره، لكنـه للأسـف قليلـون مـن يُفكـرون بـه، وقليلـون مـن يهتمـون بطيبتـه، وكثيـرون مـن يستغلونها دون وجه حق.

مُستشار لمن حوله، يلجأون إليه في كل كبيرة وصغيرة. يفتخر بنفسه حينما يطلب منه أحدهم أي استشارة، فيبدأ بعرض ما لديه، يُدلي بدلوه ليجلب النصيحة الصائبة. شخص نحتاجه في كثير من الأوقات، ولم يصبح مستشارًا إلا بعد أن اقتنعنا أن لديه أفكارًا واقعية وأجوبة لكل ما نحتاج. يميز بين الصواب والخطأ، ويضع احتمالاته ليكون لدينا أكثر من خيار.

يفرض احترامه أينما حل، لبق بلسانه، أنيق بروحه، يختار المصطلحات المُنمقة. يُميز في التعامل بحسب ملامح الوجه، يُعطي كل ذي حق حقه. عندما يراك سعيدًا، يتصرف معك بما يناسبك، وعندما يراك غاضبًا، يتصرف بما لا يثير غضبك أكثر. يؤثر في كل من حوله، تراه صاحب نظرة ثاقبة، لا يُخيب ظن أحد. صادق صدوق، تملأ المحبة قلبه ومكان تواجده. هو الشخص الراقي.

تُزعجه نظرة، كلمة صغيرة قد تأخذ من وقته الكثير لينسى أثرها، حتى وإن كانت دون قصد. يشعر أن التناغم بينه وبين الآخرين يرتبط بأسلوب هادئ. يعجز عن تجاوز أي كلمة ليست في وقتها أو في مكانها، وينتظر دائمًا اللطف في كل شيء. يغضب ولا يبوح، يداوي جرحه بنفسه، لكنه حينما يشتاق يعترف، وحينما يحب يعترف. إنه الحساس.

يُطيع الجميع ولا يرفض طلبًا لأحد. يُحبه كل من عاشره والتقى به، يسمح لنفسه أن يدخل إلى قلبك دون أن تشعر. تكتفي بحركاته وأسلوبه فقط لتحبه. يُعطي كل ما لديه حينما يُنادى. تشتاق لحضوره، لعفويته، لبراءته، لصدقه في حب من حوله. في أي مناسبة تجده أول الحاضرين، ليس من الحاضرين بأجسادهم وربطات عنقهم فقط، بل حاضر بانتمائه وبكل ما لديه من ولاء للمكان ومَن فيه. إنه المخلص، المُخلص حقًا.

يُحملك الجمائل في أصغر الأشياء التي يُقدمها لك، ويتقدم نحوك ببطءٍ شديد. لا يلتزم بموعد، ولا يُصدقك الفعل، ولا يرد لك شيئًا مما تقدمه له. يجرحك ويعاتبك على غيابك، ويُخطئ في حقك ويلومك على الابتعاد. حينما يقع في مأزق، يُلقي المسؤولية على من حوله. يفرح بعيدًا عن الناس، ويحزن في أحضانهم. يستخسرِ لحظةً يضحك فيها أمام الآخرين، يخاف الحسد في اللحظات البهيجة، بينما يبوح بكل ما عنده من غضب وكراهية للآخرين. يرى في نفسه الأفضل، الذي لا يخطئ ولا يعتذر. هو من خرجت النرجسية منه بريئة.

يُشعرك بأنه يخاف عليك، ويهمه أمرك. ينصحك أمام الناس بصوتٍ عالٍ، يحاول لفت أنظار من حوله بأسلوب التسلق، ويجمع أكبر عدد من الناس على قصتك. ينتحل صفة الناصح الأمين في العلن، ويبخل بها في السر. حينما يراك وحيدًا، لا يملك القدرة على تقديم أي كلمة لك، وربما يتظاهر بالانشغال أو بعدم رؤيتك. يراه الناس ويعلمون أنه لا يُريد النصيحة بقدر ما يُريد الإشهار بما يُخفى. إنه صاحب أسلوب: "النصيحة بفضيحة."

يجلس بين الناس، يُحرك نظاراته ويُعدلها حسب الموقف وموضوع النقاش. يتباهى بعطره، ولون حذائه، وشكل ساعته. يستعرض شيئًا من بطولات لم يعشها أو يُحققها، وكلمة "أنا" تتصدر حديثه. ينتحل أدوارًا مُلفتة، ويوعد من حوله بتلبية أي شيء يحتاجونه، وإن كان صعبًا، وربما يتجرأ ويعلن أنه قادر على تحقيق المستحيل. لكنه عند أقرب موقف، لا يسمع جرس هاتفه، ولا يرى رسالة. يختفي كل شيء. إنه المُتظاهر بشخصية لا تشبهه أبدًا.

مُميز بصداقته، بحضوره، وبغيابه. قليلون من يشبهونه. يقرؤك دون أن تنطق بكلمة، يشعر بألمك من صوتك، يأتي دون نداء، ويساند كتفيك قبل أن تنحني. لا مصلحة له لديك، ويرفض وجودها بينكما. يُهمه أن تكون بخير دائمًا، ويحتاج منك وفاءً فقط لتدوم علاقتكما. يحرص على أمورك كحرصه على نفسه، ومُمتن لوجودك في حياته. إنه الأخ الذي لم تلده أمك.

لا يُصدق أحدًا ولا يثق بسهولة، يكره الوضوح، يسأل كثيرًا، يُشعر الآخرين بأن مشاعرهم وكلامهم ومواقفهم زائفة، يضع في غيره عُقدًا كثيرة من النقص، يُحول أي حوار لأسئلة صعبة لا إجابات لها، يُحب الاستماع للمبررات من غيره وينتظر شروحات تُفيده لاستكشاف حقيقة شيء ما من المشاعر، يهتم بحريته ويتعدى على حريات غيره، يكره من حوله بناءً على أوهام زرعها براسه، إنه الشخص الشكاك.

يتعجب من تقدمك بأي خطوة في حياتك، ويستهين بكل متاعبك. ينظر إليك ويُراقبك بتركيز، يخشى أن يصيبك خير أو أن تفرح بشيء. يرى فيك وقودًا يُشعله. لا يُحب أن تغيب عن مرآه أو تنقطع سيرتك عن مسمعه. يحلم بك، ويفكر في كل تحركاتك. يضع فيك عيوبًا لا تعرفها، ويُشككك من حوله بك. يجعلك حكايات تنتقص منك في غيابك، ويستبعد ذكر أي نجاح لك ولا يبارك لك. ينتابه شعور مؤلم إن ذكروك بخير أمامه، وهو يتمنى أن يُصبح كل ما تملك بين يديه. إنه الحاسد.

يتهمك بأنك السبب في كل ما يحدث له: بفشله، بكسله، بنومه المتأخر، باستيقاظه عصرًا. أنت المتهم إن لم ينجح في عمل، وإن تعطلت سيارته، وإن فاته شيء وخسره. يتخذ منك شماعة يعلق عليها أسباب كل بؤس يُصيبه، وكل خطوة تباطأ فيها. إن أصابه زكام أو رعشة برد، قد يتهمك. لا تقلق، أنت أسلوبه الوحيد ليفرغ فيك ما به من نقص. يغار من الجميع إلا مِن مَن كان سلوكه جيدًا وأخلاقه محمودة. يغار من الناجح ويُقلد الفاشل. يعرف الصواب ويتخذ طرقًا مُلتوية عنه... فمن هو؟

يشتكي من كل شيء، ويلعب دور الضحية دائمًا. يُشعرك بالذنب، وإن لم تفعل له شيئًا أو لم تُقابله منذ مدة. مجرد أن يراك يُعاتبك، وإن كان هو المُخطئ بحقك. مُتعِبٌ في التعامل، كثير التذمر، ويُشعرك ومن حوله بالتقصير المستمر تجاهه. يشعر أن لا أحد يقدم له شيئًا، ولا أحد يُقدره أو يُقدر جهوده، رغم عدم صحة ذلك. في النهاية، يجد نفسه وحيدًا بعد أن نفر الجميع منه بسبب أسلوبه. إنه صديقك المظلوم.

يليق به حضورك. لديه قوة عجيبة على التقرب منك والاحتفاظ بك؛ يمدحك كثيرًا، ويُكثر الحديث عنك، يُشعرك بأنه لا يستطيع الاستغناء عنك، وهو بالفعل لا يستطيع. يُشعرك بأنك لا تُخطئ، وأن كل ما تقوله أو تفعله صحيح ويُناسب فكره. يُقلدك إن استطاع، ويُريدك دائمًا في مقدمة الناس، ولا يرضى لك مكروهًا. تُعجبه ألوان قميصك، وطريقة تفكيرك، ومشيتك، ونوع الأطعمة التي تُحب، والمزاج الذي تُحب. هو شخص يقتدي بك، ويراك مثالًا في كل شيء.

يحتفظ بك لنفسه، يخشى عليك من البرد ومن كل شيء. حريص على كتمانك كأكبر سر لديه. حينما يسمع صوتك يبتسم. حينما يُلفظ باسمك يبتسم. يشتاق لك في غيابك الحاضر، يكتب فيك أطيب الكلمات وأرقها، يحتفظ بنبرة صوتك إلى لحظات ما قبل الغفو. يرسمك بأجمل الأشكال، ويصنع منك معجزات في خياله. يَعُدُ خطواتك كما يَعُدُ أيام غيابك، يراك في كل من يراه. يتأمل ويُخطئ ويَظلم، يغفر ويعفو. يغار ويلوم، يُعاتب ويُسامح وأنت لاتعلم. ينام على آخر عطر لك، يبدأ يومه معك، بماذا يفعل وكيف أصبح؟ يُسلم عليك كلما غبت عن ذهنه وعُدت. ينشغل عن كل شيء إلا عنك. أنت أغلى ما يملك دون أن تشعر... إنه من يحبك وأنت لا تعلم.

يُرمم فيك كل جرح، ويدفعك للأمام قدر استطاعته، ولا ينتظر منك ردًا على ما يُعطي. يتأقلم مع مواقفك ليهدأ ويتيح لك إعادة بناء نفسك، ويُريد لك الخير دائمًا. يشعر بك من أول نظرة، ويقدّر مدى إحساسك ومدى قسوة تجربتك. يشعر بأنك تمر بما مرّ به من قبل، فهي تجربة سابقة له؛ تذكّره بألمه، ولكنه يُعطي الأولوية لألمك، ليشفى جرحك وتتجاوز موقفك. إنه الظلوم حينما يواجه مظلومًا مثله.

منا أشخاص يدّعون أنهم قادرون على تحليل كل ما في داخلك، يُوهمونك بأنهم يفهمونك دون أن تنطق، مُكتفين بقراءة عينيك. يُشعرونك بأنهم يعرفون كل ما تفكر فيه، ويتشبثون بآرائهم، متخذين من أنفسهم خبراء بمن يُحيطون بهم. ينشغلون بالناس أكثر من أنفسهم، ويتنقلون بينهم كأنهم حمامات سلام تريد الخير للجميع. وراء هذا كله، توجد قناعات بأنفسهم لا تشبه أحدًا حولهم. تجدهم أحيانًا يظلمون أنفسهم وأحيانًا يظلمون الجميع، لكنهم لا يتراجعون. لقد أصبح التنظير على الناس أسلوب حياتهم وطريقتهم في التعامل مع الآخرين.

منا من لا يشكر الناس لأنه لا يرى في الشكر سببًا، ولا يعتذر لأنه يرى في نفسه أنها لا تُخطئ، وأن في الاعتذار انتقاصًا. لا يقترب من أحد لأنه يعتقد أن لا أحد يستحق، ينتقد الجميع وينتقص من شأن أقرب الناس إليه، ويظن أن خدمتك له واجب، وتقصيره معك حرية، وسلب راحتك حق. يُشعرك بأن وجوده في حياتك امتنان، وإرضاؤه واجب والتزام. يخشى أن يقلده أحد في لباسه أو عطره أو طريقة كلامه، ويرى نفسه الوحيد الذي لا يشبهه أحد. أصدقاؤه قليلون، وأعداؤه كذلك، لأنه لا صديق له ولا عدو. يبتعد عن الجميع، مُكتفيًا بالتفرد بنفسه والحيادية، لكنه يعيش أطباعًا غريبة.

*****

الفصل الرابع..

رسائل لك ..

قد ينتابك لحظات من الضيق واليأس، تتوه فيها في دوامة من الشك، يُصبح قلبك كالمركب الضائع، يبحث عن قُوتِ السلام وسط الزحام. تشعر وكأن الطريق لن يكون سهلاً، وفي لحظة ما ستجد مهربًا لكل ما ألمَّ بك، لذا لا تيأس ولا تستسلم، فإن في كل فجر تولد فرصة جديدة، وفي كل ضيق يكمن شيء من القوة في داخلك.

الحياة ليست مجرد مجموعة من اللحظات الصعبة أوالأوقات السوداء، بل هي دورة متجددة، ومسار متعرج يحمل في طياته الكثير من الأمل، الذي يذكّرك بأن الحياة تستحق منك كل جهد لتحقيق ما تسعى إليه. وإن لم تكن النهاية التي تحلم بها سعيدة، عاود من جديد مقتنعًا أن القصة لم تنتهِ بعد، وأن أجمل الفصول لا تزال في انتظارك.

في كل لحظة تجد نفسك فيها تائهًا، لا تقلق... فقط تذكر أن فضائل سورة البقرة خُلقت لي ولك، ففيها منجاة من نار الحيرة، وإفراج لما حُبس في صدرك من مشاعر تائهة. تذكر دائمًا أن سور القرآن ملاذٌ من لعنة القهر والآلام والأحزان. كلما ضاقت بك السبل، تذكر أن السماوات لا تضيق على من يحمل في قلبه رجاءً ودعاءً وأملًا بربه.

تذكر أن الحياة ألوانٌ نحن من نرسمها، بقرارٍ لا بظروفٍ تفرضها. قد ترى فقيرًا عرف كيف يصنع من ابتسامته نورًا له ولمن حوله، يضيء به قلوبًا مُطفأة رغم قلة ما يملك، بينما هناك غنيٌّ حبيس اكتئابٍ يختبئ خلف بريقٍ زائف، رغم أن بين يديه ما يُرضي أعتى الرغبات. الفرق ليس فيما نملك، بل في كيف ننظر لما حولنا، فالسعادة قد تسكن قلبًا يملؤه القناعة، والحزن قد يعشعش في صدر من لا يرى إلا النقص.

لا تنظر إلى الفقير على أنه فقير المشاعر أو فقير الفكر، فلربما يحمل في داخله ما لا تُظهره المظاهر. قد تختبئ خلف ثيابه البسيطة أحلامٌ كبيرة وأفكارٌ تعانق السماء. الفقر ليس مرآةً تعكس قيمة الإنسان أو ما يحمله من طاقات وإمكانات، بل هو ظرف عابر قد يحد من الإمكانيات المادية، لكنه لا يستطيع أن يحد من اتساع الروح أو عمق الفكر.

قد تجد الفقير ممتلئًا بحكمة الحياة التي تعلمها من تجارب قاسية، أو مشاعر دافئة نمت في قلبه رغم الصعاب. تلك الروح لا تُقاس بالمال، بل بالأثر الذي تتركه في الآخرين. قد تكون كلماته أكثر صدقًا وإلهامًا من تلك التي تُقال في قاعات الفخامة، لأن من عرف الحاجة، عرف المعنى الحقيقي للعطاء.

لا تحكم على الإنسان من ظاهره، ولا تفترض أن فقر المال يعني فقر الفكر أو فقر الشعور. فقد تجد في البساطة عمقًا لا تراه في تعقيدات الحياة الأخرى، وتجد في الفقير قلبًا يتسع للعالم أكثر من أي ثروة.

الفرق ليس بما نملكه من مالٍ أو مكانة، بل بما نحمله في نفوسنا من رؤى وأحلام. هي النظرة للحياة التي قد تجعل المرء يرى الأمل حتى في أصعب الظروف، أو يعيش غارقًا في السخط رغم نعيمه. في النهاية، القرار بأيدينا: أن نبحث عن النور في زوايا حياتنا، أن نرسم البهجة رغم الصعاب، أو أن نستسلم للظروف... فنفقد إحساسنا بجمال الحياة.

تذكر دائمًا أن جلدك لا يحكّه إلا ظفرك، وأن ما يُصيبك من شر قد تكون أنت السبب فيه. ربما تضع نفسك في أماكن قد تثق فيها دون حسابات، وإن احتجت إلى نصيحة ما قد تلجأ إلى الشخص الخطأ. تذكر دائمًا أن الحدس الذي ينتابك، وما يمليه عليك قلبك قد يكون صحيحًا، لكنك لا تجرؤ على مواجهة ما يمليه قلبك، لأنك اعتقدت الصدق فيمن حولك. اعلم أن استقاء النصيحة من صاحب الخبرة والتجربة خير لك، وليس كلهم يصلحون لأن نسمع كلامهم أو نثق بهم.

لا تُضيع وقتك في إثبات براءتك أمام الآخرين ممن لا يصدقونك؛ فالناس لا ترى إلا ما تريد أن تراه، ولا تصدق إلا ما يتماشى مع قناعاتها المسبقة. الحقيقة بالنسبة لهم ليست إلا مرآة لرغباتهم وتحيزاتهم.

لا تتعثر في دروب التبرير والشرح، فالبراءة لا تحتاج إلى إثبات لمن لا يرغب في رؤيتها. سر في طريقك بثقة، ودعهم هم من يبحثون عن براءتك، وأنت في ردهتك لا تبالي. لا تسمح للظنون بأن تثقل خطواتك، واترك الأمور لمن يريد أن يفهم ويدرك الحقيقة بصدق، أما مَن يتشبث بالأوهام، فلا داعي لأن تُهدر لأجله طاقتك.

على سبيل الحب... لا تسكب مشاعرك دفعة واحدة، فالقلوب التي تحيط بك ليست دائمًا جاهزة لاستيعاب فيض ما تحمل من أحاسيس. المشاعر كالبحر، لا تُظهر جمالها إلا حين تتهادى أمواجها ببطء على شاطئ آمن، وإن أسرفت في التعبير فربما تخنق من حولك بعمق مشاعرك، بدلًا من أن تمنحهم فرصة لاستيعابها تدريجيًا.

خذ وقتك في التعبير؛ فالكلمات ليست مجرد حروف تُنطق، بل هي نبضات من قلبك، وكل نبضة تستحق أن تصل في لحظة مناسبة. كن هادئًا في بوحك، ولا تدع حماسة اللحظة تُغرقك. لست مطالبًا بأن تكشف كل ما في داخلك في آن واحد، فالمشاعر الحقيقية تُبنى على مراحل، كالبناء الذي يحتاج إلى أساس صلب، وإلا انهار كل شيء في لحظة.

بعض النظرات تأتي كالنسمة اللطيفة؛ لا تحتاج إلى كلمات، فهي أبلغ من أي حديث... تلتقي العيون للحظة، وكأن كل شيء يتوقف لبُرهة، كل شيء يصبح ضبابيًا إلا تلك النظرة.

هي نظرة تُشعل في القلب شرارة، وتُثير في الروح تساؤلات. ماذا تخبئ تلك العينان خلفهما؟ هل هي مجرد لحظة عابرة أم أن هناك قصة تكتب بصمت؟ تلك النظرات التي تحكي عن اهتمام خفي، عن مشاعر لا تُفصح عنها الشفاه، لكن العيون تفضحها في غفلة.

بعض الناس في حياتنا يقفون على مسافة من القلب... لا يقتربون ولا يبتعدون. يملكون القدرة على إشعال الحنين بلمحة، وإثارة الذكريات بنظرة. هم ليسوا في الماضي تمامًا، ولا ينتمون للحاضر بشكل كامل، كأنهم عالقون بين لحظة رحلت وأخرى لم تأتِ بعد.

تظل قلوبنا تُراوح بين الشوق لهم والرغبة في نسيانهم... بين الحب الذي لا يزال يخفق برفق، والوجع الذي يخبو ببطء... لكنهم، رغم كل شيء، يبقون هناك... على مسافة من القلب. لا قريبين بما يكفي لإحياء الجراح، ولا بعيدين ليتحولوا إلى أطياف منسية. هم حكاية لم تكتمل ونهاية لا تزال تنتظر سطرها الأخير.

قد تتوه بين الوجوه المألوفة، وقد تظن أن القرب يعني الحب، وأن المسافات القريبة تُرسَم بالمودة والاهتمام. لكن الحقيقة مختلفة؛ فليس كل من يقترب منك قلبه يتسع لك.

البعض يتقدم بخطواته نحوك فقط ليسرق من نورك أو ليقف بجوارك حينما تحتاجه كظلٍّ فقط، دون أن يكون لديه دفءٌ ليهديه لك. أحيانًا يكون القريب مجرد عنوان للمصلحة، وابتسامته قناعٌ يَخفي خلفه ملامح لا تظهر إلا في لحظات الضعف. ومع الزمن ستكتشف أن الحب لا يقاس بالمسافة ولا بالقرابة، بل بالقلوب الصادقة التي تختار البقاء بجانبك في الفرح والحزن... في القرب والبعد، دون شرط أو غرض.

عندما تفقد الكلمات الجميلة أثرها في الروح، وعندما تُصبح الهدايا مهما بلغت قيمتها دون أي معنى، وعندما يُستبدل الشوق والغياب بفترة نقاهة أو استراحة من الحب، حينها تدرك تمامًا أن شيئًا كبيرًا قد كُسِر، وأنك على مشارف آخر محطة في قصة كانت شيئًا كبيرًا. إنها السطر الأخير في قصة كان بطلها عاشقًا غيرته الأقدار، وتراجع عن عهود ووعود رُسِمَت على عدد أيام عمر القصة المطوية صفحاتها إلى الأبد.

ستنضج، وتعرف أن الحب الحقيقي هو ذلك الذي لا يحتاج إلى أسباب للتعبير عن نفسه، ولا يتطلب القرب الجغرافي ليبقى حيًا، بل هو ما ينمو في المسافات، ويسكن في الروح قبل أن يسكن في الجسد.أما البدايات، إن كانت جميلة، دَعها تستمر؛ فالجَمال الذي لامَس قلبك عند الخطوةِ الأولى لا ينبغي له أن يَكون عابرًا. هُناك بَدايات تُشبه الزهر، تأتيك برياح من عبق لا يُنسى، تُحيي فيك ما كانَ راكدًا، وتُنعش في روحِك الشغف.

واعلم أن وصايا الحب عشر:

إيمان بمن تُحب واحتفاظ بقلب مفتوح، تقرب واهتمام، وضوح المشاعر ونقاء الروح، تواصل بدفء وإحساس، ثقة متبادلة وعهود أبدية، اعتناء في أوقات الشدة. فالأرواح تبحث عن مرفأٍ آمن قريب من بحر الأخلاق، ويد تمسح الدمعة، ونفس تبث الأمل وسط الضباب. رحلة الوفاء ليست سهلة؛ بل هي نوع من إرادة صلبة وقلبٍ صافٍ.

واعلم أن كواسر القلب عشر:

إهمال متواصل، خذلان لا يُطاق، ابتسامة مخطوفة من صفحات مزدحمة، أعذار لا تُقنع، مبررات لامعنى لها، حرقة فؤاد، مواقف منسية، فرحة مغتصبة، وقسوة كلمات. فبعض الكلمات دواء، وبعضها لسعات من نار.

حينما تصبح الفرص شحيحة، والأيدي بخيلة..

لا تحزن

فالعطاء لا يُقاس بما يأتيك من الخارج، بل بما يفيض من قلبك. تذكر أن هناك في داخلك منجمًا من الأمل والحلم، لا يحتاج إلى يد تمتد نحوه لتمنحه، بل يحتاج إلى إيمانك بأنك كافٍ، وأن ما تبحث عنه قد يكون أقرب مما تظن.

البخلاء يُضيعون فرصهم قبل أن تضيع عليك، وأنت من يبقى، من يصبر، ومن يزرع بذورًا في أرضه، حتى وإن بدت قاحلة اليوم، ستزهر غدًا.

العيب ليس فيك، العيب فيمن لم يرَ قيمتك، في من نظر إليك من زاوية ضيقة، ولم يُقدّر نقاء قلبك ولا جمال روحك. العيب في العيون التي لم تُنصفك، وفي الكلمات التي أطلقت عليك أحكامًا لم تكن تستحقها، وفي القلوب التي لم تفتح لك أبوابها، ولم تحتمل منك إلا ما يُناسب أهواءها. تذكّر دائمًا أنك لست مسؤولًا عن طريقة رؤيتهم لك. كُن كما أنت، فمَن يعرف قيمة الجوهر لن يُخطئ في التقدير.

لا تغضب، ففي الغضب تضيع الفرص والدروب بلهيب اللحظة. إن الحوار لغة نادرة تُبنى على تأنٍ وإدراك، وفي لحظة غضب تهدم أسسها. تذكر أن القرارات التي تُتخذ تحت وطأة الغضب قد تحمل شبح الندم، كما أن بعض الأمور إن انكسرت، يصعب حقًا أن تعود كما كانت. فكما يعسر إصلاح الأشياء المكسورة، كذلك هي القلوب والعلاقات التي قد تهشّمها اللحظات القاسية.

حرر نفسك من الحقد، من نار الكيد، من ذلك القيد الذي يُثقل روحك ويسرق منك طمأنينتك. ذلك العبء الثقيل يسلب منك سلام قلبك ونقاء روحك. الحقد ليس سوى سجن يبني جدرانه حولك، يحجب عنك نور الحياة، ويمنعك من أن تشعر بجمال العفو والتسامح.
تذكر أن في كل لحظة تمسكت فيها بالحقد تخسر جزءًا من سعادتك، وتسمح للألم أن يسيطر على أيامك. الحقد يُغلّف الروح بظلام لا ينتهي، يجعل العالم يبدو قاسيًا، بينما الحقيقة أن التسامح هو ما يجلب النور ويعيد للقلوب خفتها.

حرر نفسك من الحقد، وامنح روحك فرصة للشفاء. لا شيء يستحق أن تُسجن في دوامة الغضب والكراهية. في العفو تجد الحرية، وفي التسامح قوة حقيقية.

أن تحب نفسك شيء جميل، والأجمل هو أن تحبها كما هي، بطباعك الجميلة وخصالك الحميدة. لا تلتفت لآراء من حولك كثيرًا، ولا تعتقد أن رأيهم بشكلك وملبسك سبب يمنعك من الاستمتاع بحياتك وأيامك. انظر دائمًا إلى ما تحمله روحك من جمال، وتقبل ظروفك كما هي.

حاول إصلاح ما شعرت أنه انتهى ولا يمكن أن يُصلَّح يومًا ما أو يعود إلى طبيعته؛ فإصلاح الأمور يبدأ بالقرار والجرأة والمثابرة، وقد يحتاج أحيانًا إلى نوع من المغامرة. تذكر أن أي سهم يحتاج إلى الرجوع للخلف حتى ينطلق لأبعد مسافة.

الرجوع إلى الصفر ليس عيبًا، بل هو بداية جديدة تشكل لك الخطوة الأولى لرحلة جديدة قد تجد فيها نفسك أفضل من المحاولات السابقة، لأنك قد تعلمت من أخطائك التي تجاوزتها في المرحلة الجديدة.

استشارة أهل الخبرة فيما تريد القيام به ليست عيبًا؛ فلربما تجد فيهم نصائح لأمور لم تكن تعرفها من قبل، وخبايا لم تكن تدركها أيضًا. وقد تجد في نصيحة البعض منجاة كبيرة من إهدار الوقت أو الجهد، ففي اختيار التوقيت المناسب لما تريد القيام به، تجد الراحة وتضمن نسبة عالية من النجاح.

كيف أبقى وتبقى أفضل.

لنتجاوز، لنُحقق أحلامنا، لنتخطى العقبات، لنُسهم في بناء شخصية سليمة ومعافاة من شرور اليأس... نحتاج إلى الكثير من الجهد، إلى قوة وحافز، وهي ما لا تعلِّمنا إياها المدارس، إنما التجارب والأيام والمواقف.

قوة الإرادة

لا شيء في هذه الحياة أقوى من إرادتك. قد تواجه العواصف وقد تعترضك العقبات، لكن إيمانك بنفسك وقدرتك على النهوض بعد كل سقوط هو ما يصنع الفرق. كن الشخص الذي لا يتوقف حتى يصل.

النور في نهاية الطريق

قد يبدو الطريق طويلاً وموحشًا في بعض الأحيان، ولكن تذكر دائمًا أن النور ينتظرك في النهاية. لا تتوقف عن المسير مهما تعثرت، فكل خطوة تأخذك نحو حلمك، حتى وإن كانت بطيئة.

الفرصة الثانية

الحياة لا تمنحك فرصًا، بل أنت من يخلقها. إن أخفقت في المرة الأولى، كن واثقًا أن الطريق لم ينتهِ بعد. الفرصة الثانية ليست مجرد حظ، بل هي نتيجة إصرارك وتعلمك من أخطائك.

كل بداية صعبة

لا شيء يبدأ بسهولة، لكن البداية الصعبة هي ما تجعل النجاح أكثر جمالًا. كن صبورًا، فالطريق إلى النجاح مليء بالتحديات، ولكن أولئك الذين يواصلون، هم الذين يصلون في النهاية.

لا تقارن نفسك بالآخرين

رحلتك هي رحلتك وحدك. لا تقارن نفسك بالآخرين، فلكل شخص قصته وتحدياته الخاصة. ركز على تحسين نفسك وتطوير مهاراتك، لأن النجاح الحقيقي هو أن تصبح نسخة أفضل مما كنت عليه بالأمس.

اجعل الفشل حافزًا

الفشل ليس نهاية الطريق، بل بداية جديدة. كل سقوط هو درس جديد، وكل عقبة هي فرصة لتعلم شيء جديد. لا تخف من الفشل، بل اجعله حافزًا للعودة أقوى وأذكى.

الأمل لا يموت

الأمل شعلة تضيء لك الطريق في أحلك الأوقات. حتى عندما تشعر بأن الأمور بدأت تتدهور، تذكر أن الأمل يمكن أن يغير كل شيء. لا تفقد إيمانك بأن الأفضل قادم.

أنت تصنع مصيرك

لا تدع الظروف أو آراء الآخرين تحدد مصيرك. أنت من يمتلك القدرة على تشكيل مستقبلك. اتخذ القرارات التي تتماشى مع أحلامك، وكن شجاعًا في السعي لتحقيقها.

التغيير يبدأ من الداخل

إذا كنت ترغب في تغيير من حولك، ابدأ بنفسك. كل تحول حقيقي يبدأ بتغيير أفكارنا وسلوكياتنا. كن مثالًا حيًا لما تود أن ترى في الآخرين، وشارك في إحداث الفرق.

لا تخف من الأحلام الكبيرة

الأحلام الكبيرة قد تبدو بعيدة المنال، لذا لا تضع حدودًا لها. كلما كانت أحلامك أكبر، كلما كانت إنجازاتك أكبر. احلم بحجم السماء، وابدأ بالخطوات الصغيرة لتحقيق تلك الأحلام. كل حلم كبير يبدأ بفكرة صغيرة.

تعلم من الأمس

خذ دروسًا من الماضي، لكن لا تسمح له بتحديد مستقبلك. عش كل لحظة في الحاضر، واستعد لبناء غدٍ أفضل. الماضي هو تجربة، والحاضر هو فرصة، والمستقبل هو حلم ينتظر التحقيق.

اجعل كل يوم بداية جديدة

كل يوم هو فرصة جديدة للبدء من جديد. اترك خلفك كل ما يثقل كاهلك، واستقبل الصباح بتفاؤل وعزيمة. اجعل اليوم هو اليوم الذي تصنع فيه الفارق.

العزيمة تصنع المعجزات

إذا كنت تعتقد أن الأمر مستحيل، تذكر أن العزيمة والإصرار يمكن أن تصنع المعجزات. استمر في العمل نحو هدفك، وثق بأن كل جهد تبذله سيؤتي ثماره في النهاية.

الحياة رحلة، استمتع بكل لحظة

لا تنظر إلى الحياة كسباق، بل كرحلة مليئة بالتجارب. استمتع بكل لحظة، واحتفل بالإنجازات الصغيرة كما الكبيرة. فالحياة هي مجموعة من اللحظات التي تبقى في الذاكرة.

الإيجابية تجذب الإيجابية

عندما تكون إيجابيًا، تجذب الأشياء الإيجابية نحوك. اجعل التفاؤل أسلوب حياتك، وشارك الطاقة الإيجابية مع من حولك. فالإيجابية ليست مجرد شعور، بل هي قوة حقيقية تغير كل شيء.

كن شجاعًا في مواجهة مخاوفك

المخاوف هي مجرد أفكار، وبتحديها يمكنك اكتشاف نقاط ضعف جديدة. كن شجاعًا، وواجه مخاوفك، فكل خطوة خارج منطقة راحتك تقربك من النجاح.

كل لحظة هي فرصة للتغيير

في كل لحظة، لديك فرصة لتغيير مسار حياتك. اغتنم تلك الفرص، ولا تتردد في اتخاذ القرارات التي تقودك إلى الأفضل. التغيير يحتاج إلى شجاعة، ولكن النتائج تستحق كل الجهد.

الصبر مفتاح الفرج

عندما تشعر بأن الأمور لا تسير كما تريد، تذكر أن الصبر هو المفتاح. كل شيء يأتي في وقته، وما عليك سوى الاستمرار في العمل بإيمان.

النجاح يتطلب الجرأة

لكي تصل إلى ما تريد، عليك أن تكون جريئًا. لا تخف من اتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق أحلامك، فالتردد لن يجلب لك النتائج.

التغيير هو الثابت

الحياة مليئة بالتغيرات، لذا تعلم كيف تتكيف معها. قبول التغيير يجعلك أكثر مرونة وقوة في مواجهة التحديات.

خطوة بخطوة

لا تستخف بالخطوات الصغيرة. كل إنجاز، مهما كان صغيرًا، يساهم في بناء نجاحات أكبر. استمر في السير نحو هدفك، خطوة بخطوة.

كن مصدر إلهام

اجعل من نفسك نموذجًا يحتذى به. قوتك وإيجابيتك يمكن أن تلهم الآخرين ليحققوا أحلامهم، لذا كن أنت التغيير الذي ترغب في رؤيته في الآخرين.

الحياة أوسع من القلق

لا تدع القلق يسيطر عليك. الحياة مليئة بالفرص والتجارب الجديدة. استمتع بكل لحظة، وابحث عن الجمال في الأشياء الصغيرة.

العزيمة تحقق المعجزات

العزيمة هي ما يجعل المستحيل ممكنًا. عندما تصر على النجاح، ستجد الطريق الذي يقودك إليه، بغض النظر عن التحديات.

اكتب قصة نجاحك

كل شخص لديه قصة فريدة. اكتب قصتك بشجاعة، ولا تخف من الفشل أو الانتكاسات. أنت المؤلف، لذا اجعل من حياتك رواية ملهمة.

الإصرار في مواجهة الصعاب

عندما تواجه الصعوبات، تذكر أن الإصرار هو ما يميز الناجحين. استمر في المحاولة، ولا تدع العقبات توقفك.

القوة في الوحدة

عندما نتعاون وندعم بعضنا البعض، نصنع قوة لا يستهان بها. تذكر أن النجاح ليس رحلة فردية، بل هو نتاج العمل الجماعي. احط نفسك بالأشخاص الإيجابيين الذين يشجعونك على التقدم.

استثمر في نفسك

أنت أغلى ما تملك، لذا احرص على استثمار الوقت والجهد في تطوير مهاراتك ومعارفك. التعليم المستمر والتعلم من التجارب سيجعلانك أكثر قوة وقدرة على مواجهة التحديات.

استمع إلى قلبك

بينما قد تكون الأصوات الخارجية صاخبة، لا تنسَ أن تستمع إلى قلبك. اتبع شغفك، وثق بحدسك، فهما الدليل الذي يقودك نحو الطريق الصحيح لتحقيق مُرادك.

القناعة سر السعادة

السعادة ليست في ما نملك، بل في كيفية تقديرنا لما لدينا. تعلم أن تكون قنوعًا، وستجد السلام الداخلي الذي تبحث عنه. القناعة تفتح لك أبواب السعادة التي قد تكون مغلقة.

كن صديق نفسك

تعامل مع نفسك بلطف وشفافية. في أوقات الصعوبة، كن داعمًا لنفسك كما تفعل مع الأصدقاء. احتفل بإنجازاتك، وكن رحيمًا مع أخطائك. الحب الذاتي هو أساس النجاح.

كن مبدعًا في حل المشكلات

كل مشكلة تحمل في طياتها فرصة للإبداع. لا تدع العقبات تقف في طريقك، بل ابحث عن حلول جديدة ومبتكرة. فالإبداع هو ما يميز الناجحين عن الآخرين.

كل خطوة تهم

لا تقلل من شأن الخطوات الصغيرة. كل إنجاز، مهما كان بسيطًا، يقربك من هدفك. استمر في التحرك نحو الأمام، فالتقدم المستمر هو ما يبني النجاح.

استمتع بالرحلة

النجاح ليس وجهة، بل هو رحلة مليئة بالتجارب. استمتع بكل لحظة في هذه الرحلة، وكن مفتوحًا لتعلم الدروس من كل تجربة. الحياة تحتاج إلى التقدير والاحتفال بكل ما تقدم.

الأخطاء جزء من التعلم

لا تخف من ارتكاب الأخطاء، فهي جزء من عملية التعلم. اعتبر كل خطأ درسًا يعزز معرفتك ويقربك من تحقيق أهدافك. التعلم من الأخطاء هو ما يجعلك أكثر حكمة وثقة.

الفصل الخامس..

قصص من حياتي .. كل قصة كانت لي عبرة.

لكل منا قصة تحمل أحداثًا ومواقف قد تبدو عادية لمن لا يعرف التفاصيل، لكنها بالنسبة لصاحبها تشكل محطات فاصلة في حياته . بعضها يبدو مألوفًا، وبعضها يحمل مفاجآت غير متوقعة.

رأيت خلف كل شخص التقيت به في حياتي قصة جعلت منه ماهو عليه الآن.. تعلمت منهم الحكمة والصبر، والإيمان بأن كل مانحن عليه الآن هو قدر..

في هذا الفصل، سأشارككم قصصا من بعض مامررت به، قصصي مع الناس، والأماكن، والأفكار، وحتى مع نفسي. بعضها صاغت ملامحًا من شخصيتي، وأثرت في مساري. وبعضها حكايات صغيرة من يوميات عادية، لكنها تحمل في طياتها دروسًا كبيرة، قد غيرت من نظرتي إلى التفاصيل البسيطة التي أمر بها كل يوم.

القصة الأولى.. عقرب اغتصبتُ موطنه

كان ذلك في منتصف نهار صيفي، وكنا قد أنهينا موسم حصاد القمح في منطقة قرب قريتي تُسمّى اللبويرة. بدأنا، أنا ووالدي، بتعبئة التبن في أكياس لنقله إلى التبان الواقع قرب بيتنا في القرية. وما لبثنا أن عبأنا ما يقارب ثلثي المحصول من التبن حتى نفدت الأكياس الفارغة. فطلب مني أبي أن أذهب إلى المستودع وأحضر المزيد من الأكياس الفارغة. وفعلاً، ذهبت. وما إن وصلت حتى بدأت أجمع الأكياس الفارغة وأضعها في كيس واحد كبير.

وضعت مجموعة منها، ورحت أجمع المزيد من الأكياس، وقمت بتصغير حجمها حتى أكسب مساحة أكبر. عندما قارب الكيس على الامتلاء، قمت بضغط ما بداخله من أكياس بيدي، وإذا بلسعة تهشّ على يدي. كانت مؤلمة لدرجة أنني صرخت دون وعي. وعندما سحبت يدي، كان بها مكان وخزة صغيرة بحجم رأس الإبرة.

أدركت حينها أنها لسعة عقرب. أفرغت الكيس من محتوياته لأتأكد، وإذا بعقرب أسود لامع يرفع ذيله متأهبًا لأي هجوم آخر. لكني سرعان ما قمت بسحقه بحجر صغير، فهو من تسبب لي بألم لا يوصف، ولا أعلم كيف ستكون النهاية من سُمه الذي بدأ يعشّش في مكان اللسعة.

استوقفني الموقف وأدركت أنني أنا من أتى إلى هذا العقرب، الذي اتخذ من أحد الأكياس موطنًا له دون أن أعلم بوجوده، ويرقد فيه بسلام حتى أيقظته بيدي. قام بالدفاع عن نفسه، وهو حق مشروع له كردة فعل. حتى وإن كان سيئًا، فنحن أحيانًا من نتعدى على الآخرين وخصوصياتهم دون معرفة سابقة بهم، وهم بدورهم يقومون بردود أفعال طبيعية قد لا نتقبلها في كثير من الأحيان.

القصة الثانية.. إسطوانة الغاز وأنفاسها الأخيرة

لفظت أسطوانة الغاز أنفاسها الأخيرة، وكذلك نفد صبرنا على الحرارة الملتهبة تحت قدر أرز بالحليب التي أعدتها أمي من حليب اشترته من جارتنا. كنا ننتظر تلك اللحظة التي ينضج فيها الأرز بالحليب لتدفئ بطوننا من برد الشتاء القارس، وتسكت أنين الجوع.

نفدت الأسطوانة، وكانت تلك إشارة لبداية انتظار جديد، انتظار بائع الغاز، أو انتظار شخص يذهب إلى كفرأسد ليحضر شيئًا ما.

وقفت على حافة الشارع أنتظر مرور أي بائع غاز مع الغروب، أو ربما مرور عمي أحمد الذي كان ينقل ما لديه من نتاج حليب مواشيه إلى ملبنة في قرية حوفا.

مر بائع الغاز، ورغم إشاراتي المتكررة، لم يتوقف. وكأنني لم أكن هناك. كأنه يقول في داخله: "لقد نفدت أسطواناتي، ولا حاجة لي بالتوقف".

لـم يُعـرني أي اهتمـام، ولـم يتنـازل عـن دقيقـة مـن وقتـه ليعتـذر لـي. استنتجت حينهـا أن البعض، إن لـم يكـن لـه مصـلحة مباشـرة في خـدمتك، لـن ينظـر إليـك. لـم أسـتطع نسـيان الموقـف، وتوعـدت بينـي وبـين نفسـي بألا أتعامل معه مرة أخرى، حتى لو كنت بأمس الحاجة لأسطوانة غاز.

كـبرت وأنـا أحمـل هـذا الـدرس. أدركـت أن عـزة الـنفس هـي أحـد أعظـم القـيم التـي يمكـن أن يحملهـا الإنسـان، وأن الحفـاظ علـى كرامتنـا وعـدم التنـازل عنهـا مهمـا كانـت الظـروف هـو أمـر لا يُقـدّر بـثمن. فالقيمـة الحقيقيـة ليست في المصلحة المؤقتة، بل في احترامنا لأنفسنا وللآخرين.

القصة الثالثة.. تنبؤات بليلة بادرة

كانت الأجواء ضبابية بعض الشيء، وكنت متجهًا من قريتي صيدور إلى كفرأسد لجلب جالون كاز للتدفئة، بعد أن توقعت أمي أن تكون الليلة باردة وماطرة. حملت الجالون الفارغ، مستعدًا لمواجهة تغيرات الطقس في الطريق إن لم أتمكن من اللحاق بأي وسيلة نقل. كنت فخورًا بأن أمي وضعت ثقتها فيّ، خاصة مع غياب أبي عن البيت لأربعة أو خمسة أيام في الأسبوع.

وصلت أخيرًا إلى المحطة، بعد أن اعتليت جناح تراكتور "أبو الخير"، الذي كان قد فرّ من الحراثة قبل بدء المطر المتوقع، خوفًا من أن تعلق إطارات جراره في الطين. كانت المحطة مزدحمة بالسيارات التي جاءت لتشتري الكاز، وبما أنني طفل يبلغ من العمر حوالي الحادية عشرة، لم يعرني أحد اهتمامًا. الكل كان يريد ملء جالونه والعودة إلى بيته بسرعة.

طـال انتظـاري وقلـت حركـة السـيارات، سـواء تلـك التـي تنتظـر الكـاز أو المتجهـة نحـو قريتـي. مـع غـروب الشـمس وبـدء الظـلام، بـدأت أشـعر بالقلق.

عنـدها، توقـف رجـل بسـيارته وسـألني: "إلـى أيـن تـذهب؟" فأجبتـه: "إلـى صـيدور." قـال: "أوصـلك بـدينار." نظـرت إليـه مليًـا وقلـت: "لـو كـان لـدينا دينـار زيـادة، لكنـت وصـلت للبيـت قبـل سـاعتين." ضـحك وقـال: "سأوصلك دون أي دنانير".

وبالفعـل، أوصـلني دون أن ينطـق بكلمـة أخـرى. كـان تصـرفه بسـيطًا لكنـه مليئًـا بالرحمـة، فقـد أراد أن ينـال أجـره مـن الله، لـيس مـن طفـل لا يـدرك بعد قيمة المال، لكنه يدرك معنى الأفعال الحقيقية والواقعية.

أحيانًـا، تكـون الأفعـال الطيبـة التـي نقـوم بهـا للآخـرين دون انتظـار مقابـل هـي الأجمـل والأكثـر تـأثيرًا. فـالكرم الحقيقـي لا يُقـاس بمـا نعطيـه ماديًـا، بـل بمـا نقدمـه مـن قلبنـا، خاصـة عنـدما نختـار أن نسـاعد مـن لا يملـك شـيئًا سوى امتنان عميق.

القصة الرابعة .. أبي عندما كان يوقظني من النوم

لطالما كانت لحظات الاستيقاظ على يد أبي تجربة مميزة لا تُنسى. لم يكن كأي شخص آخر، يُوقظك بهدوء أو يهمس لك بلطف. كان له أسلوبه الخاص. في كل صباح، كان يدخل الغرفة بصوتٍ عالٍ، وكأنه يُعلن بدء يومٍ جديد للجميع: "انهض! النهار بدأ، والعمل ينتظرك!"

في البداية، كنت أتحايل على النهوض؛ أتمدد في فراشي وأغطي وجهي بالبطانية، محاولًا أن أتظاهر بالنوم العميق. لكن أبي لم يكن يُخدع بسهولة. كان صاحب حس عالٍ في المسؤولية تجاه نفسه وجميع أفراد أسرته. يبدأ بانتظاري لحين رفع رأسي، ثم يسحب البطانية بخفة قليلًا، فإن لم أستجب، كان يعاود سحبها بقوة. "انهض، الوقت يمر ووراءك مشوار طويل من القرية إلى عمّان". أحيانًا كان يرسل أمي ويراقب عن كثب، وذلك قبل أن يبدأ الغضب يشتعل في رأسه. لكنني في النهاية كنت أضطر مجبرًا إلى تأجيل شيء من الدفء والأحلام إلى ما بعد.

رغم أنني كنت أحيانًا أنزعج من هذا الأسلوب الصاخب، إلا أنني كنت أدرك أن في كل حركة وكل كلمة، كان هناك حب وحرص. أبي لم يكن مجرد رجل يريدني أن أستيقظ من النوم، بل كان يعلمني قيمة الوقت، وأهمية الاستفادة من كل لحظة في اليوم.

مع مرور الوقت، تغرّبت وعشت لوحدي، وأصبحت أشتاق لتلك الصباحات. حتى في أيام الإجازة، كنت أنتظر دخوله المفاجئ وصوته وحسه في المسؤولية، وانتظاره الذي ترافق مع كل محاولة لإيقاظي. لقد كان أبي يُوقظني من النوم، لكنه كان يُوقظ في داخلي أيضًا رغبة في العمل والنشاط، وإحساسًا بأن اليوم الجديد يحمل فرصًا جديدة.

الآن، عندما أستيقظ وحدي، أفتقد تلك اللحظات. لقد كان أبي أكثر من مجرد مُوقِظ، كان صانعًا لذكريات الصباح التي ستبقى معي دائمًا.

القصة الخامسة.. جريدة أبي وإثارة الكلمات المتقاطعة.

كان أجمل ما في الجريدة الصباحية رائحتها بين يدي أبي، تتناثر الكلمات كأنها تفوح برائحة الحبر الطازج، وتختلط بنسيم الصباح الذي يتسلل من جانب شجرة الياسمين المزروعة على طرف برندتنا الغربية. كان أبي يجلس على كرسيه المعتاد، كوب الشاي بجانبه، والجريدة تحظى بكل تركيزه.

كنت أراقبه من بعيد، أسترق النظر إلى ملامحه المتغيرة، وكأنها مرآة تعكس ما يقرؤه.أحيانًا أراه يبتسم، وكأن خبرًا سارًا قد انساب إلى عينيه، يزرع في قلبه بعض الطمأنينة. وتارة أرى حاجبيه يرتفعان بغضب، وكأن العالم من خلال تلك السطور يخبره بأحداث لا تروق له. كنت أتساءل في صغري: ما الذي يجعل هذا الورق مليئًا بكل تلك المشاعر؟ كيف لصفحات مطبوعة أن تكون مرآة لعالم كامل؟

لم يكن أبي يتحدث كثيرًا عمّا يقرأ، لكنه كان يترك الجريدة مطوية على الطاولة بعد انتهائه، وكأنها انتهت من سرد قصتها له، وبدأت تنتظر من يقرأها من جديد. أحيانًا كنت أحاول تقليده، أفتح الجريدة وأقلّب الصفحات، لكنني لم أفهم الكثير.

كانت الكلمات تبدو لي رموزًا غامضة، إلا أنني كنت أدرك أن بينها وبين أبي لغة خاصة، لا أفهمها لكني أشعر بها.كنت أستمتع بالجريدة أكثر عندما يترك لي أبي الجزء السهل من الكلمات المتقاطعة. كانت بمثابة لعبة سرية يدفع بها ناحيتي، مبتسمًا: "هاكِ، هذا الجزء لكِ." كنت أعلم أنه اختار لي الكلمات الأبسط، تلك التي تناسب سنوات عمري حينها، لكنها كانت بالنسبة لي تحديًا ممتعًا.

أمسك القلم وأبدأ بحماس، أحاول ملء الفراغات، أحيانًا أصيب وأحيانًا أخطئ، لكنه كان يصحح لي بلطف، دون أن ينتقص من فرحتي الصغيرة. ومع مرور الوقت، تعلمت أن أفهم المزيد من تلك الألغاز، وأصبحت أكثر مهارة في حلها. لم تكن الكلمات المتقاطعة مجرد لعبة، بل كانت جسرًا صغيرًا من الحبر والكلمات التي تجمعنا في صمت.

مرت السنوات، وتغيرت الجرائد، وتغيرت طريقة قراءة الأخبار، لكن ما لم يتغير هو ذكرى ذلك الصباح، وملامح أبي الغارقة بين السطور. ربما لم تكن الجريدة بحد ذاتها هي المهمة، بل كانت تلك اللحظات الصغيرة، حيث كان العالم بأسره بين يدي أبي، يحمله بخفة بين أوراق الجريدة، ونحن نحمله بقلوبنا.

القصة السادسة.. العُكسة (غرير العسل) والفزعة

كان في عصر تلك الجمعة هواء عليل يلاطم شجرة اللوز الشاهقة القريبة من شجرة بطم. تساقطت حبوبها وانحدرت مع أول صخرة منزلقة باتجاه زيتونة في كرم صغير. طلب مني أبي أن أعيد ترتيب ما جرفته السيول من حجارة وركام أتربة وأغصان متكسرة في موسم الشتاء الماضي.

بدأت بجمع الأغصان اليابسة التي تعلقت بتلك الحجارة، ومنها ما كان وقودًا لإبريق شاي وضعت مع مائه القليل من حبات الهيل... بدأتُ بمراقبة النار تحت الإبريق خوفًا من توسعها هنا أو هناك؛ حيث إن العشب الجاف سريع الاشتعال، خصوصًا في هذا الوقت من النهار.

ما لبثت أن أعدت خطة العمل على فرز الحجارة الصغيرة عن الكبيرة، حتى سمعت صوتًا يشبه صوت طفل رضيع، يأتي من جوار جذع شجرة لبنى متوسطة الحجم، أسفل صخرة كبيرة تدلت على مساماتها المتربة بعض من عروق الزعتر البري. سارعت لإخبار عمي المختار بما سمعت.

هـرع المختـار وكـل مـن سـمع صـوتي وأنـا أقـول: "إن هنـاك طفـلًا صـغيرًا يبكـي علـى أطـراف الكـرم." وصـلنا المكـان، ليسـحب المختـار لُكسـا صـغيرًا أحضـره معـه برفقـة بارودتـه. ومـا إن سـلط إنارتـه إلـى الـداخل، حتـى رأينـا عيونًـا تـبرق لتعـاكس الضـوء الواصـل إليهـا. ضـحك المختـار حينهـا وقـال: "إنـه حيـوان العُكَّسَـة (غريـر العسـل)، وهـو حيـوان يكـبر الأرنـب الـبري السـمين بشـيء قليـل، لونـه أسـود ورأسـه أشـهب بشـيء مـن البياض."

حـرك صـوت العُكَّسَـة الحـس الإنسـاني لـدى الكثيـرين مـن أبنـاء حـارتي، ظـانين أن أحـدًا ألقـى بطفـل صـغير هنـاك. عكـس الموقـف قـوة المجتمـع المتماسـك، الـذي لا يـتردد في تقـديم المسـاعدة عنـد الحاجـة، وتـبرز أهميـة التعـاون والالتفـاف حـول مـن يسـتدعي المسـاعدة، دون تـردد أو انتظـار تفاصيل الحدث.

القصة السابعة.. طلاب صفي ولغز انقطاع التيار الكهربائي.

كان ذلك عام 1995

ذات مرة، قرر مجموعة من زملائي حينما كنا في الصف الثامن أن يدرسوا معي لامتحان اللغة العربية في بيتنا. كان عددهم أربعة، حضروا ودرسنا على الامتحان. ومع خروجهم، انقطع التيار الكهربائي عن البيت. ظننا حينها أن التيار انقطع عن الحي بأكمله، وبقينا حتى بعد الغروب دون كهرباء.

ومع بداية إشعال الناس الإنارة في بيوتهم من حولنا، اكتشفت أمي أن التيار لم ينقطع سوى في بيتنا. أخذنا نبحث عن السبب هنا وهناك، وأخيرًا اكتشفت أمي أن القاطع الرئيس قد فصل، فقامت برفعه ليعود التيار مجددًا. لم نبحث حينها عن سبب نزوله.

وفي الصباح، عندما ذهبت إلى المدرسة، وعندما رآني أحدهم أجهش بالضحك كعادته دون إصدار أي صوت. كان دائمًا يضحك بهذا الشكل، لكنه هذه المرة استوقفني أثناء ضحكه، وقد ترك عينيه مفتوحتين تجاهي. انتظرته حتى تمالك نفسه، فإذا به يقول: "أنا أعرف من أنزل القاطع في بيتكم أمس." عرفت حينها أن أحدهم أراد إثارة الجدل قبل مغادرته.

لقد كان أطول شخص بيننا، ساعده طوله بالوصول إلى لوحة القواطع، كان صاحب روح فكاهية نوعًا ما، لم يقصد الإيذاء، بل بقصد المزاح وإضحاك من معه من الطلاب. رغم أن الموقف كان مجرد مزحة، إلا أننا قضينا وقتًا طويلًا في البحث عن سبب انقطاع التيار، لكن بعد إصلاح المشكلة، لم نلتفت لأي أمر آخر.

كانت تلك التجربة درسًا لنا؛ أحيانًا نضيع جهدنا ووقتنا في البحث عن تفاصيل لا تستحق، بينما الأهم هو التركيز على الحلول. لذا، علينا أن نتعلم تحديد الأولويات؛ بعض الأمور قد تستنزف طاقتنا ووقتنا دون فائدة، بينما يجب أن نركز على ما هو فعلاً مهم.

القصة الثامنة .. أبي يُضيع أخي في السوق .

كان ذلك في ظهيرة يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان لعام 2001، وكنا نتوقع أنه اليوم الأخير للشهر الفضيل. أراد أبي أن يذهب إلى السوق لشراء ملابس العيد لإخوتي الأصغر مني وبعض الحاجيات لهذه المناسبة. ذهب أبي واصطحب معه أخي أحمد، الذي كان يبلغ من العمر حينها عشر سنوات. كان أبي حينها لا يحمل أي نوع من الهواتف النقالة. تأخر ودخل وقت العصر ولم يعد، ولا توجد طريقة للسؤال عنه.

ومع اقتراب الغروب، بدأ القلق يحوم في أذهان جميع أفراد أسرتي. وقفت أنا وأمي بقلق بالغ عند رأس الشارع القريب من حارتنا، وبعد لحظات وصل باص القرية. فرحنا جدًا وزال القلق نوعًا ما، ولكن عندما توقف الباص، نزل منه أحمد وقال بصوت هادئ: "لقد أضعت أبي في أزمة السوق".

سارعت للذهاب إلى السوق مع صديق لي لأطمئن على أبي، الذي كنت أجزم أنه قلق جدًا ويبحث عن أحمد وسط ذلك الزحام العجيب الذي يتزامن مع فترة العيد. عندما وصلت إلى مجمع الأغوار الجديد،

وجدت أبي يطالع الجميع بنظرات توتر مخيفة، ووجهه محمر ومصفر، ويشد على يديه التي كانت تحمل أكياسًا فيها كل ما اشتراه. بدا عليه أنه قد ضيّع أحمد منذ وقت مبكر.

عندما رآني أبي، لا أعلم لماذا أزاح وجهه قليلًا عني، لكني سارعت إليه وقلت: "أبي، إن أحمد في البيت، وقد وصل منذ ساعة تقريبًا". قال: "كيف؟" فأجبته: "لقد أخبر دورية شرطة بأنه قد أضاعك، فحاولوا البحث عنك ولم يجدوك، فاضطروا، وقبل توقف حركة الباصات، إلى إيصاله إلى مجمع الغور الجديد ووضعه في باص صيدور بعدما أخبرهم باسمك وعنوان سكننا".

عدنا إلى البيت وبقينا صامتين طوال الطريق، ولكن كان هناك مشاعر حزن في قلبي مع كل نظرة كنت أنظرها لوالدي، لأنه كان متعبًا وقلقًا ومتوترًا، وربما كان يفكر في إجابة لسؤال: ماذا لو لم يعد أحمد؟

استخلصت من هذا الموقف عبرة تقول:

أن اللحظات الصعبة، مهما كانت ثقيلة، قد تحمل معها دروسًا في الصبر والمسؤولية. أدركت أن الاهتمام بالعائلة لا يتوقف عند توفير ما تحتاجه فقط، بل يتجاوز ذلك إلى القلق والرعاية حتى في أدق التفاصيل.

القصة التاسعة .. ذكريات رجل أصلع .

اللص الذي سرق شعر رأسي ليلة زفافي (الخميس 17 **أغسطس / عام** 2006 **)**

كان يومًا أستعد فيه لحفل زفافي، لكنني أردت أن أتجنب تكاليف الحلاقة العالية التي تُفرض عندما يخبر الزبون الحلاق بأنه موعد عرسه. سينتهي الأمر بدفع سبعة دنانير أو عشرة دنانير بدلًا من خمسين دينارًا لترتيب شعري وتنظيف بشرتي كعريس. حينها قررت الذهاب إلى صالون حلاقة مشهور بقصات جميلة وسط المدينة. كنت بحاجة إلى قصة شعر جديدة، شيء منعش يعيد لي بعض الثقة كعريس.

جلست على الكرسي، وسمعت زبونًا آخر على الكرسي المجاور يقول للحلاق: "أريد حلاقة شعري كاملًا، وكما يقال في بلدي، على الصفر."

بدأ الحلاق الذي أجلس على كرسيه يعمل. طلبت منه "تشذيبًا بسيطًا"، وحرصت على أن أكون واضحًا بما أريد دون أن أشعره بأني عريس الليلة في قريتي. بينما كان المقص يتحرك بسرعة حول رأسي، بدأت أشعر بشيء غريب. كانت كمية الشعر التي تسقط على الأرض تبدو أكثر مما توقعت. حاولت الاطمئنان وسألت الحلاق: "كيف تسير الأمور؟" رد بابتسامة واثقة: "لا تقلق، ستبدو رائعًا."

لكـن عنـدما نظـرت في المـرآة، وجـدت أن خلفيـة رأسـي أصـبحت بـلا شـعر. شـعرت بصـدمة! شـعري الـذي كنـت أعتنـي بـه لسـنوات، ذلـك الجـزء مـن هـويتي، قـد اختفـى تقريبًـا! لـم يكـن مجـرد تشـذيب بسـيط، بـل سـرقة كاملة لشعري! بدوت وكأنني خرجت من نزال خاسر مع المقص.

قلـت لـه: "مـاذا فعلـت؟" فقـال: "ألـم تطلـب منـي حلاقـة علـى الصـفر؟" أخبرتـه: "لا، لسـت أنـا!" سـرعان مـا تفاجـأ وعـرف أنـه تشـتت بـين طلبـي وطلب الشخص المجاور الذي كان صوته مرتفعًا.

ضـحك الحـلاق قـائلاً: "لا تقلـق، سـأعمل علـى القصـة بأسـلوب جديـد، وسـترى كـم سـيكون جمـيلًا." لكننـي لـم أكـن أرى في المـرآة أي "أسـلوب"، فقـط كـاد أن يجعـل منـي العـريس الأول في قريتـي دون شـعر في ليلة زفافه.

خرجـت مـن الصـالون وأنـا أشـعر وكـأن لصًـا محترفًـا كـاد يسـرق شـعري، لولا أن انتبهت له قبل فوات الأوان.

عـدت إلـى المنـزل متـأملًا في الـدرس الـذي تعلمتـه: الثقـة بـالحلاق ليسـت دائمًـا فكـرة جيـدة، خاصـة عنـدما يحمـل مقصًـا! فـإن لـم يخنـه المقـص، قـد يخونه سمعه.

القصة العاشرة.. حذائي الضيق

منذ أن اشتريت ذلك الحذاء الجديد، وأنا أعاني. في البداية، كان يبدو رائعًا، أنيقًا ومناسبًا لأي مناسبة. لكنني لم أكن أعرف أن جماله الخارجي يخفي وراءه عذابًا لا يوصف. كلما ارتديته، شعرت بأن قدميَّ محاصرتان، وكأنني أسير على الأشواك. ومع كل خطوة، كان الألم يزداد.

في يوم من الأيام، كنت على وشك الخروج إلى لقاء مهم. نظرت إلى الحذاء وكأنني أتحدى نفسي. "سأرتديه رغم الألم، لن يؤثر عليّ!" قلت لنفسي. لكن بمجرد أن خرجت من المنزل، بدأ الألم يتسلل مجددًا. حاولت تجاهله، لكن في منتصف الطريق، لم أعد أستطيع التحمل.

توقفت، جلست على مقعد بجانب الطريق، وخلعت الحذاء. تنفست الصعداء. كانت تلك اللحظة التي أدركت فيها أنني، مثل الكثير من الناس، أحيانًا أتحمل أشياء تؤذيني فقط لأنها تبدو جميلة أو لأنني أخاف من التخلي عنها.

عـدت إلـى المنـزل وحـذائي في يـدي، الأمـر مضـحك جـدًا ومثيـر للسـخرية والاسـتغراب لـو رآني أحـد أحملـه وأمشـي وكـأنني أرقـص. لكـن حينهـا قـررت ألا أسـمح لأي شـيء أن يضـيق علـيّ حيـاتي، مهمـا كـان شـكله جذابًا.

القصة الحادية عشرة.. سائق تاكسي يحكي للناس قصص حياته

في أحد الأيام، استقليت تاكسي في طريقي المصدار إلى دوار الشرق الأوسط. بدا اليوم عاديًا، لم أكن أتوقع أن يكون ركوب هذه السيارة بداية لقصة لا تُنسى. بمجرد أن جلست في المقعد الخلفي وأعطيته الوجهة، بدأ السائق يتحدث، وكأن هناك محركًا داخليًا يدفعه لسرد قصة حياته.

في البداية، كنت أستمع له بنصف اهتمام، معتقدًا أنه سيكتفي ببضع كلمات. لكنه كان مختلفًا عن أي سائق آخر. تحدث عن كل شيء: طفولته، مغامراته في شبابه، وكيف كان يحلم بأن يصبح شيئًا آخر غير سائق تاكسي. روى لي عن تحدياته في الحياة، وكيف أن القدر قاده إلى هذا العمل.

كانت لديه قدرة مذهلة على السرد، وكأن كل حادثة من حياته كانت مشهدًا من فيلم درامي مليء بالأحداث. قصصه كانت مليئة بالحزن، الفرح، الإخفاقات والانتصارات. بين حين وآخر، كنت أجد نفسي أبتسم أو أشعر بالحزن معه. حتى عندما وصلنا إلى وجهتي، لم أكن أرغب في النزول من السيارة. كانت القصة مشوقة جدًا.

قبل أن أغادر، قال لي: "أنا أسرد قصصي لأنني لا أريد أن تمر حياتي دون أن يسمعها أحد. كل شخص لديه قصة، لكن ليس الجميع يحظى بفرصة ليحكيها".

خرجت من التاكسي وأنا أفكر في كلامه. أدركت أن كل شخص يمر بنا في الحياة يحمل قصة تستحق أن تُروى، وأن هناك قصصًا لا تستحق أن تروى لأنها لا تعني غيرنا مهما كانت، أي أنه لاداعي لسرد تفاصيلها، وأننا في بعض الأحيان قد نكون المستمعين الذين يحتاجهم الآخرون لترك أثر فينا.

القصة الثانية عشرة.. بائع الشاي الفقير

كان الصباح باردًا عندما وقفتُ على زاوية قرب دوار المدينة الرياضية أنتظر حافلتي المعتادة متجهًا إلى طبربور. المدينة تعجُّ بالحركة كعادتها في كل صباح؛ الناس يتوجهون إلى أعمالهم، والسيارات تملأ الشوارع بأصوات أبواقها المزعجة. لكن في وسط كل هذا الضجيج، لفت انتباهي صوت بسيط هادئ: "شاي ساخن.. شاي ساخن."

التفتُّ لأرى بائع شاي يجلس على كرسي صغير بجوار عربته. كان يبدو فقيرًا، ملابسه قديمة وبسيطة، لكن في عينيه بريق غريب. تقدمت نحوه، رحبت به وطلبت كوبًا من الشاي. قدّمه لي بسرعة وكأنه يستعد لاستقبال زبون آخر.

ومع أول رشفة من ذلك الكوب الذي كان ساخنًا، سألته: "يبدو أن يومك بدأ مبكرًا؟" فأجابني: "نعم، كل يوم لي يبدأ مع شروق الشمس. فالرزق لا ينتظر." كانت تلك الجملة بداية لحوار طويل.

على مدار الأيام التي تلت، كنت أتوقف عنده كل صباح لأشتري كوبًا من الشاي وأستمع إلى قصصه. لم يكن بائع الشاي مجرد بائع بسيط، بل كان رجلًا مليئًا بالحكمة.

كان يروي لي قصصًا عن حياته، وكيف كان يعمل في مجالات أخرى قبل أن ينتهي به الحال بائعًا للشاي. لم يكن يشكو من حاله، بل كان ممتنًا لكل تجربة خاضها. قال لي ذات مرة: "الفقر ليس نهاية الحياة، إنه مجرد تحدٍ. الأهم هو أن تبقى صادقًا مع نفسك ومع الناس."

تعلّمت منه الكثير. كل صباح كان يعطيني درسًا جديدًا، ليس فقط عن الحياة، بل عن الإنسانية، وعن القوة الداخلية التي يمتلكها كل شخص منا. كان يبتسم رغم ظروفه الصعبة، ويستمر في العمل بجد، مؤمنًا أن الرزق يأتي مع السعي والصبر.

ذات يوم سألته: "كيف يمكنك أن تكون سعيدًا رغم كل هذا؟" نظر إليَّ وقال: "السعادة ليست في المال أو الممتلكات. إنها في الرضا بما لديك، في الابتسامة التي تعطيها للناس، وفي الإيمان بأن غدًا سيكون أفضل."

قصتي مع بائع الشاي الفقير لم تكن مجرد لقاء عابر؛ كانت درسًا علّمني أن القيمة الحقيقية للإنسان ليست فيما يمتلكه، بل في كيفية مواجهته لظروفه وفي رضاه بما يملكه، مهما كان بسيطًا.

القصة الثالثة عشرة.. المعلمة العمياء

لم أكن أتوقع أن لقائي بها سيغيّر حياتي. كان ذلك عام 2008، كنت أعيش أيامًا عادية؛ أستيقظ كل صباح، أذهب إلى العمل، وأعود في المساء مرهقًا متعبًا. كانت الحياة تسير كما هي، بلا مفاجآت تُذكر، إلى أن جاء ذاك اليوم الذي طلب فيه مني أحد الأصدقاء أن أساعد جارته العمياء في ترتيب قاعة لتدريس الطالبات الفقيرات في الطابق الأرضي من منزل والدها القديم.

كنت أعمل حينها بخط اللوحات الإعلانية وتنسيق الديكورات الداخلية. لم أكن أرفض طلبًا لصديق، فوافقت دون تردد. كنت أظن أن المهمة ستكون بسيطة، وربما مجرد ساعة أو ساعتين من يومي، لكنني لم أكن أدرك أنني على وشك خوض تجربة لن أنساها أبدًا. عندما دخلت منزلها لأول مرة، شعرت بشيء مختلف. لم يكن كأي منزل عادي؛ كل شيء كان مرتبًا بدقة، وكانت تشعر وكأنها تعرف المكان بكل تفاصيله رغم عدم قدرتها على الرؤية. كانت تراقبني بهدوء، تنتظرني بابتسامة رقيقة.

قالت: "مرحبًا." أجبتها بتحفظ: "مرحبًا، أنا هنا لأساعدك فيما تحتاجينه." ابتسمت وكأنها تراني تمامًا. جلست وتحدثنا عن القاعة والهدف منها، ثم حدثتني عن حياتها، وعن قصص طفولتها وكيف كانت تواجه الحياة بروح مليئة بالأمل والتفاؤل، وكيف أصبحت أستاذة في الفيزياء والرياضيات رغم أن عينيها لا تُبصران شيئًا.

كنت مستغربًا كيف يمكن لشخص لم يرَ العالم أن يكون بهذا التفاؤل. كانت ترى الحياة بمنظور مختلف، وكأن عماها أكسبها بصيرة أعمق مما يمتلكه الأشخاص المبصرون. وقالت إن العين ليست ما نرى به، بل القلب هو من يُبصر.

مر الوقت وأنا أبادلها الحديث وأمعن في حديثها وتفاؤلها المطلق. حينها بدأت أرى الحياة من خلال عينيها. لم تكن بحاجة إلى من يرشدها أو يساعدها في أي شيء، بل شعرت أنها قادرة على مساعدة أي شخص بما تستطيع.

في لقائي بها، علّمتني كيف أقدّر الأشياء الصغيرة في الحياة، وكيف أستمتع بكل لحظة، وكيف أن السعادة ليست فيما نراه، بل فيما نشعر به. تعلمت منها أن البصر ليس ما يجعلنا نبصر ما حولنا، بل القلب والعقل هما المفتاحان الحقيقيان لرؤية الحياة بشكل واضح.

القصة الرابعة عشرة.. رسالة من غريب.

كان ذلك في الأسابيع الأخيرة من الانتهاء من كتابة هذه الخواطر. جاءت رسالة دون سلام أو استئذان، بدأت بـ"هي أنت..". قلت: "نعم"، وإذا بصاحب الرسالة ينادي بلقب "أبو الكتب". قال: "أنت مؤلف كتب ومتفلسف"، مشيرًا بذلك إلى روايتي "بير الذهب".

استغربت من الموقف وتساءلت: هل أصبح المؤلف والكاتب ومن يكتب قصصًا من حياته أو رواية حقيقية حصلت معه طوال سنوات حياته شخصًا متفلسفًا؟

أجبته: "وبماذا تثيرك الرواية؟"، وإذا به يقول: "لا روايتك ولا أنت تثيراني". لكنه يريد أن يشعرني بأن ما أقوم به من صياغة قصص من حياتي على شكل روايات هو خطأ، بل ويشعرني بمستوى كبير من الجهل الذي وصل إليه الكثيرون في هذه الأيام. لا أعلم من صاحب الرسالة، لأنه دخل باسم مستعار.

لـم يكـن يعلـم أن روايتـي، وقبـل إصـدارها رسـميًا، قـد عُرضـت علـى نخبـة كبيـرة مـن أصـدقائي ومعـارفي مـن القـراء والمحبـين للكتـب والروايـات، بعضـهم أسـتاذ في جامعـة اليرمـوك والجامعـة الأردنيـة، وجميعهم ممـن أثـق بهم. لقد صححوا لي الكثير من الأخطاء، وناقشوا معي بعض الأمور.

لـم يزعجنـي انتقـاد شخصـيتي أو انتقـاد قصصـي في الروايـة، لكـن مـا أزعجني هـو أن ينتقـد جاهـلٌ متعلمًـا، وينتقـد جاهـلٌ معلمًـا، وينتقـد جاهـلٌ أسـتاذًا جامعيًـا خـرّج علـى مـدار حياتـه العمليـة في التربيـة والتعليـم والتعليـم العالي أكثر من عشرة آلاف طالب.

لـم يكتـفِ صـاحب الرسـالة بوصـفه لـي بالمتفلسـف، بـل كـان يطلـق عليَّ بـين الرسـالة والأخـرى لقـب "أبـو الكتـب". لـم يعلـم صـاحب الرسـالة أنني سـعيت إلـى هـذا اللقـب سـنوات طويلـة. لـم يكـن يـدرك جماليـة اللقـب في نفسـي، ولـم يعـرف أن مـا يوضـع في الكتـب رسـالة لـي ولـه ولأولادي ومـن حولنـا ممـن يحتـاجون إلـى مثـل هـذه القصـص لتحفيـزهم علـى السعي ونيل ما استطعنا من العلم.

لا يضيق صدري من الانتقاد وإن كان غير بنّاء، ولكن يضيق صدري حينما أكتشف أن من هاجمني برسائله وكلامه بهذه الطريقة قد يكون أصغر من أبنائي سنًا. فحينما نهاجم أحدًا من خلف ستار، يجب أن نضع في الاعتبار أن من نهاجمه قد يكون في سن والدينا، ونحن جميعًا لا نحب أن يهاجم أبناؤنا أحدًا أو يسيئوا إليه.

القصة الخامسة عشرة.. تكات الساعة في أول ليلة لي في الغربة

كان الليل قد أسدل ستاره، وكل شيء من حولي غارق في الهدوء. لا صوت، لا حركة، فقط الظلام الذي يحيط بالغرفة. جلست في فراشي أحاول أن أنام، لكن عقلي كان مشغولاً بأفكار لا تهدأ. فجأة، بدأت أسمع صوتًا خافتًا، صوت تكات الساعة المعلقة على الحائط.

في البداية، بدا الصوت عاديًا، مجرد تذكير بمرور الوقت. لكن مع كل تكة، بدأت أشعر وكأن الوقت نفسه يتحرك ببطء شديد، وكأن كل ثانية تحمل معها ثقل الساعات. تك، تك، تك... كل تكة كانت تذكرني بشيء؛ بموعد فات، بحلم مؤجل، بأمر كان يجب أن أفعله ولم أفعله.

كلما امتد الليل، أصبحت تلك التكات أكثر إيلامًا في نفسي، وأصبحت أكثر من مجرد صوت. كانت أشبه بصوت داخلي يذكرني بأن الحياة لا تنتظر أحدًا. الوقت يمضي، سواء كنت مستعدًا أم لا. وبينما كنت محاطًا بالصمت، كان عقلي يتصارع مع الزمن، مع تلك الثواني التي لا تعود.

لـم أسـتطع النـوم تلـك الليلـة. ظللـت مسـتيقظًا، أسـتمع لتكـات السـاعة، أفكـر في كـل لحظـة مـرّت دون أن أسـتغلها. وفي تلـك اللحظـات، قـررت أن أتعامـل مـع الوقـت بطريقـة مختلفـة، ألا أدع تلـك التكـات تمـر دون أن أفعل شيئًا يستحق أن يُذكر.

حـين أشـرقت الشـمس، أدركـت أن الليـل وتكاتـه قـد أعطـاني درسًـا؛ الوقـت هـو أثمـن مـا نملـك، ومـا علينـا إلا أن نسـتفيد منـه قبـل أن تختفـي تلـك التكات في صمت دائم.

القصة السادسة عشرة.. قصتي مع المنبه

في صباحٍ بارد، وبينما كنت مستغرقًا في نومٍ عميق، رنّ المنبه فجأة. بل ليس فجأة؛ لقد كان تنبيهه بناءً على موعد أعددته من الليل. كان الصوت حادًا ومزعجًا، كما لو كان يحاول إيقاظ مدينة بأكملها وليس فقط شخصًا واحدًا. مددت يدي بتكاسل نحو الطاولة المجاورة، بحثت عن زر الإيقاف. لكن الغريب أنني، ولأول مرة، لم أضغط على زر الغفوة.

نظرت إلى المنبه للحظة وتساءلت: "لماذا دائمًا ما أستسلم لهذا الصوت؟" في كل مرة أؤجل فيها الاستيقاظ، كنت أؤجل بها مواجهة العالم، والعمل، والتحديات. المنبه لم يكن مجرد جهازٍ يوقظني من النوم، بل كان يمثل معركة يومية مع نفسي، بين ما أريد تحقيقه وبين ما أتهرب منه.

في ذلك اليوم، قررت أن أغيّر عادتي. جلست على السرير، فتحت النافذة، واستنشقت هواء الصباح البارد. كان بإمكاني أن أشعر بالتغيير الذي سيطرأ عليّ إن بدأت في مواجهة المنبه بمسؤولية، تمامًا كما يجب أن أواجه الحياة. لم يكن المنبه خصمًا بعد الآن؛ أصبح شريكًا في رحلتي كل صباح نحو بداية يوم جديد أطمح فيه إلى تحقيق أهدافي.

القصة السابعة عشرة.. قهوتي الباردة

كان صباحًا عاديًا مثل كل صباح، استيقظت ببطء على رائحة القهوة التي اعتدت إعدادها كل يوم. تلك اللحظة الصباحية التي أخصصها لنفسي، حيث يجلس فنجان القهوة أمامي، ويمنحني شعورًا بأن هذا اليوم قد يكون مختلفًا.

أعددت القهوة بحرص، وكأنني أرسم بداية جديدة. ولكن، وكما يحدث في كل مرة، بدأت الأفكار تملئ رأسي. مهام مؤجلة، مكالمات يجب إجراؤها، أمور عائلية لا تنتهي. جلست على الطاولة، أنظر إلى الفنجان أمامي، لكن عقلي كان في مكان آخر تمامًا.

مر الوقت دون أن أشعر، وانغمست في تفاصيل يومي قبل أن أستمتع بتلك اللحظة التي كنت أنتظرها. عندما مددت يدي لأمسك بالفنجان أخيرًا، وجدت أن القهوة قد بردت. تلك اللحظة التي كنت أظن أنها ستكون منعشة ومليئة بالحيوية، تحولت إلى شيء عادي، حتى باهت.

تأملت المشهد جيدًا، رأيت أن القهوة الباردة لم تكن سوى مرآة لحال حياتي. انشغال دائم، تأجيل لكل ما هو جميل وبسيط، ومواصلة الركض خلف تفاصيل العمل اليومية التي لا تنتهي. لكن يبدو أن القهوة ليست وحدها ما يبرد حين نغفل عنه، بل حياتنا أيضًا قد تفقد حرارتها وجمالها إذا انشغلنا عنها بما لا ينتهي. لحظاتنا الصغيرة هي ما تشكل أيامنا، وإذا لم نعطها حقها، فقد نجد أنفسنا نعيش أيامًا باردة مثل تلك القهوة التي لم أحتسِ منها رشفة.

القصة الثامنة عشرة.. إلى هنا وتنتهي علاقتنا.. وداع علي لجميل

بعد ساعات عمل طويلة في يوم شاق وحافل بالمهمات، في مؤسسة إعلامية يتجاوز عدد موظفيها الثمانين شخصًا، كانت الساعة قد أوشكت على السابعة مساءً. جاء الزميل علي، من الجنسية العراقية، يبلغنا بقبول استقالته وخروجه من المؤسسة. كان له من بيننا صديق مقرب، وهو الصحفي اليمني المعروف جميل محسن.

أراد علي أن يودع جميل بطريقته؛ فأخرج هاتفه واحتضنه من جانبه. بمرح وحب، بدأ علي بتصوير لحظات الوداع، قائلاً بابتسامة فيها نوع من المداعبة والمزاح: "إلى هنا وتنتهي علاقتنا يا جميل..." ضحك جميل ورد التحية بعناق دافئ، إلا أن عينيه كانتا تحملان بريقًا حزينًا لم يستطع إخفاءه.

غادرنا علي، وانتهت ساعات العمل، وعدنا جميعًا إلى بيوتنا. وفي ساعات متأخرة من الليل، استقبلنا رسالة عبر البريد الإلكتروني، رسالة نعي كان فحواها صاعقًا، مؤلمًا؛ لقد فارقنا جميل.

توفي في حادث سير أثناء رحلته البرية من الإمارات إلى اليمن عن طريق مدينة العين، ومنها إلى عُمان ثم إلى معشوقته عدن كما كان يسميها دائمًا، حيث كان يقود سيارته الجديدة التي اشتراها ليقدمها هدية لابنه، لكنه لم يُكمل رحلته ولم يصل إلى ابنه الذي كان ينتظر بفارغ الصبر، ولا إلى عدن التي يشتاق إليها. لكن القدر لم يمهل جميل.

لحظة تلقي الخبر توقف الزمن للحظة، وتداعت في ذاكرتي مشاهد وداعه لعلي، تلك اللقطات العفوية التي التقطت دون أن يدري أحد منا أنها ستكون آخر لحظات جميل بيننا. كم كان ذلك الوداع صادقًا وبسيطًا، ولكنه كان يحمل درسًا عميقًا: لا ندري أي لقاء هو الأخير، ولا نعلم كم من اللحظات العزيزة ستتحول إلى ذكريات، فالأقدار قد تقلب الطاولات في غمضة عين.

لحظة وداع علي لجميل بهذه الطريقة التي ظنناها لحظة عابرة، تحولت إلى ذكرى عميقة ودرس لا يُنسى. كم نغفل في زحام الحياة عن قيمة الوداع، نعتبره مجرد تفاصيل يومية، لكنه قد يكون آخر عهدنا بمن نحب. أدركت حينها أن كل لقاء يحمل بين صفحاته احتمالية الفراق، وأن علينا ألا نؤجل كلمات الحب والتقدير، وألا نستخف بلحظات العناق والابتسامة. فالحياة قصيرة، والأقدار غامضة، وأحيانًا يكتب لنا القدر وداعًا أخيرًا دون أن ندركه.

قبل الختام..

هذه القصص والمواقف وغيرها مما يحدث معي ومعك، قد تنور طريقنا فيما كنا نجهل قيمته، وقد نتعلم منها أهمية التصالح مع الذات التي دائما ماتكون طريقا للنور والسكينة.. وأن تعتني بنفسك، أن تتصالح مع ذاتك، وأن تكون صادقًا في حياتك، هو ما يجعلك إنسانًا قادرًا على الحب والعطاء، قادرًا على أن يكون لحياته معنى حقيقي، وقادرًا على أن يترك أثرًا جميلاً في قلوب من حوله.

أن تعتني بنفسك يعني أن تمنحها الحب الذي طالما منحته للآخرين، أن تستمع لصوتها الداخلي برفق، وتحتضن نقاط قوتك وضعفك دون قسوة أو إنكار. فالتصالح مع النفس ليس مجرد حالة مزاجية، بل هو رحلة نحو فهم أعمق لذاتك، نحو إدراك أن الكمال ليس شرطًا للسعادة، وأن الرضا ينبع من قبولك لذاتك كما أنت، بكل ما تحمله من مشاعر وتجارب.

عندما تتصالح مع نفسك، تصبح أكثر اتزانًا وطمأنينة، لا تبحث عن التقدير من الخارج، بل تجده في داخلك. ينعكس هذا الصفاء على حياتك بأكملها، في اختياراتك، في علاقاتك، وحتى في طريقة رؤيتك للحياة.. تصبح أكثر صبرًا، أكثر حبًا، وأكثر قدرة على مواجهة تحديات الحياة بثقة وهدوء.

أما الصدق، فهو مفتاح القلوب، وهو ما يجعل أثرك في نفوس الآخرين لا يُنسى. عندما تكون صادقًا في مشاعرك، في كلماتك، وحتى في أخطائك، فإنك تترك بصمة لا تمحى. الصدق في التعامل يمنحك احترام الآخرين وثقتهم، لكنه قبل ذلك يمنحك راحة لا تضاهى، فأنت لا تحمل أقنعة، ولا ترهق نفسك بمحاولة أن تكون شخصًا آخر.

عندما يسكن السلام داخلك، تتغير رؤيتك للعالم من حولك. لم تعد ترى العقبات كحواجز، بل كدروس تمنحك القوة. لم تعد تردّ على الإساءة بغضب، بل بفهم أنك مسؤول عن ردود أفعالك، لا عن أفعال الآخرين. يصبح تعاملك مع الحياة أكثر هدوءًا واتزانًا، لأنك تدرك أن الراحة لا تأتي من السيطرة على الظروف، بل من السيطرة على مشاعرك تجاهها.

السلام الداخلي يجعلك أكثر صبرًا في المواقف الصعبة، وأكثر مرونة أمام التحديات. عندما تواجه مشكلة، لا تغرق في القلق، بل تبحث عن الحل. عندما تختلف مع شخص، لا تسرع في الغضب، بل تفهم وجهة نظره. أنت تعلم أن الصراعات الخارجية لا يجب أن تهز استقرارك الداخلي، لأنك وجدت السلام في داخلك، وليس في الظروف المتغيرة حولك.

وهـذا السـلام لا يـنعكس عليـك وحـدك، بـل علـى مـن حولـك أيضًـا. يصـبح حضـورك مريحًـا، وكلماتـك أكثـر تـأثيرًا، وعلاقاتـك أكثـر عمقًـا. لأنـك عنـدما تكون في سلام مع نفسك، تنشر هـذا السـلام في كـل مكـان تـذهب إليـه، وتصـبح مصدر طمأنينة وإلهام لمن حولك.

فما أجمل الإنسان حين يحتضـن مـن حولـه بقلـب صـافٍ، دون تحيـز أو تمييـز، حـين يـرى الآخـرين بعـين المحبـة لا بعـين الفـوارق، ويمـنحهم المـودة دون شروط. فالقلب الذي لا يعرف التمييز هو القلـب الـذي ينشـر النـور أينمـا حـل، وهو الذي يجعل العالم مكانًا أكثر دفئًا وسلامًا.

حـين نعـانق الآخـرين بصـدق، نتجـاوز الحـدود التـي رسـمتها الاختلافـات، ونكتشـف أن جـوهر الإنسـان واحـد، مهمـا اختلفـت ألوانـه وأفكـاره وخلفياتـه. المحبة الحقيقية لا تسأل عن الإسم أو الهوية، بل ترى الإنسـان بروحـه، وتقـدّر قيمته بعيدًا عن أي تصنيف.

إنه العناق الذي يعكس وعينا وإنسانيتنا، الذي يربط بين القلوب، ويجعل الحياة أكثر جمالًا وأقرب إلى جوهرها الحقيقي: الحب والتفاهم.

الختـــــــــام

نتمنى أشياء كثيرة في حياتنا، قد ندرك شيئًا منها وقد لا ندرك. تمطر السماء فنرتدي معاطفنا، وربما نحمل حقائبنا ونرحل مع المطر حينما يبعث فينا حياة جاءت من السماء، لتروي الأرض وكل عَطِشٍ وكل دابة وكل من في الجحور. نأكل مما دبَّ الله في الحياة ومما قسّم لكل واحدٍ منا من حلوها ومرها وحامضها ومالحها.

لا ننال إلا ما قدّره الله لنا، ولن نواجه مصيرًا إلا وكان قد دُوِّن لنا قبل مجيئنا إلى هذه الأرض، لذا لا خوف على رزقٍ وقوتٍ ومبيتٍ وصحة، وهو من يدبرها.

هذه الأرض.. نمشي في مناكبها، نسعى فُرادى وجماعات، نبني بيوتًا تأوينا من بردها وتظلنا من حرها وتستر ما فينا من عورات. نضيء طريقنا في ليلها مما ملكنا من سراج وبنور وشعلات. كلما اشتد مطرها تذكرنا أن هناك من ينتظرها ومن يرى فيها رزقًا له، فندعو الله بأن يجعلها خيرًا لنا ولكل من ترقب وانتظر.

أكبر عبرة في حياتنا أن ما من خير نقدمه إلا ويوفى لنا من أحد ذات يوم. هي قسمة فيها حفظ للحقوق، لذا لا خوف مما نفعله من أجل أحدهم دون مقابل. ففي جبر الخواطر، فرحة ودعاء وربما قضاء أمر استعصى على ضعيف.
مهما شعرنا ببطء الأيام فإن الصغير سيكبر، ويَشِبُ ويشيب، والكبير سيهرم، وسيرحل ذات يوم، تاركًا خلفه الكثير من الذكريات والقصص والحكايات، والكثير من المحبين والمقربين. نستذكره حين مررنا بمكان كان به، وعند مواقف كان له فيها حضور وبصمة ووقع.

تسافر فينا الأيام وتبحر كما تشاء. نقف فيها مرة متفرجين، ومرة رحالة، مرة مقبلين، ومرة مدبرين. لا نعلم ما تخبئه لنا، ولا نعلم إلى أين تسوقنا الأقدام. مرة نتقدم، مرة نتراجع، ومرة نعتزم ألا نكون إلا كما نشاء، ولن ننال إلا ما تريده الأيام.

أجمل شعور قد نشعر به في حياتنا هو احترامنا لذاتنا، والرضا بما نملك، والسعي لما نريد. التفكير السليم يندفع بنصيحة سليمة تصب في نهاياتها لصالح ما نصبو إليه. فكم من نصيحة أسقطناها من جداول حساباتنا، وأهملناها وربما سخرنا منها، وبعد سنوات اكتشفنا أن فيها نجاة لم نكن نعيها في حينها.

تعج الحياة بالوجوه..وجوه ضاحكة ووجوه بشوشة ووجوه أرهقها التعب. لا نعلم ما يخفيه كل وجه وراءه من قصص وآلام وحكايات لم يَبُح بها أمامنا لأننا لم نلتقِ به من قبل ولم يجمعنا سوى تلك النظرة العابرة التي جاءت خلال يومنا، ربما على حافة طريق أو بين عجاج المدينة وصخبها، وربما في عيادة مستشفى أو أمام مسرح ما. هي بالنهاية تعبيرات وجه لشخص لا نعرفه، كل ما نعرفه أنه إنسان له من الظروف والطقوس والقصص ما يكفيه.

من الطبيعي أن تستيقظ من نومك في غاية النشاط والحيوية، وتملؤ الطاقة الإيجابية روحك. ومن الطبيعي أيضًا أن تستيقظ من نومك غاضبًا مثلًا أو تشعر باستفزاز داخلي لا تعلم ما أسبابه. قد تعود الحالة المزاجية في الصباح لما تولد في الذاكرة من مشاهد قبل خلودك للنوم، وقد تعود لمواقف عاد بها شريط الذاكرة ليمررها لك. كلها طاقات، واستغلال الطاقة بما يتناسب مع ما منحته لك هو فن. فاستغلال الطاقة الإيجابية يختلف تمامًا عن انفعالاتك في حال الطاقة السلبية. الأولى تمنحك قدرة على التفاعل مع نفسك ومع من حولك بشكل مميز، بينما الثانية قد تجعل منك شخصًا يتعامل مع أي موقف بعصبية ولا مبالاة، لدرجة أنك قد تعود للبحث عن نفسك التي قد تشعر بأنها لن تعود كما كانت.

لكل شيء سقف، العلاقات، الطموحات، والتوقعات كذلك. فلا تتجاوز السقف الذي تعيش في ظله وإلا انقلبت كل الأمور ضدك، وألقت بك في مهالك أنت بغنى عنها. عوّد نفسك دائمًا أن تفعل ما باستطاعتك ولا تحمل نفسك ما لا طاقة لك به.

مع أطيب أمنياتي لك بالتوفيق.. شكرًا على حسن القراءة

30November2025

bashairehh5@gmail.com

الكاتب في سطور...

حسام عبدالمنعم البشايره

أردني ، مواليد إربد عام 1982
من قرية صيدور (إحدى قرى لواء الوسطية شمال مدينة إربد)

إعلامي مقيم في دولة الإمارات العربية المتحدة (أبو ظبي)

كاتب صحفي و محرر أخبار

مذيع أخبار إذاعية
ومعد برامج وتقارير تلفزيونية وإذاعية

مقدم برامج إذاعية ومعلق صوتي

مـــــن مؤلفـــات الكـــــاتب

عادي جدًا

خواطر حسام بشايره

Hams
MEDIA
وأنا في مهد الطفولة...
كنتُ أشعر أن كل جرحٍ في داخلي يلتئم بلمسةٍ من أمي
وكأن في تلك اليدين قدرة عجيبة على تهيأتي لاستقبال الحياة
كانت لمستها تخبرني بصوتٍ خافت: أنا هنا، كل شيء سيكون بخير.
عادي جدا
كأوراق الخريف .. في كل ورقة قصة وفي كل قصة أملاً
حسام بشايره